الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم:العلوم الإنسانية

الحضور العلمي الإشبيلي في مراكش وأثره على المغرب الأقصى خلال القرنين 05-07 هـ/ 11-13 م

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطلبة:

- شريفة حكيم
- ثابت أحمد
- طوير أحمد

إشراف الدكتور:
عليلي محمد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة
د. كوريب عبد الرحمن	رئيسا
د. عليلي محمد	مشرفا ومقررا
أ. راكة عمر	مناقشا

السنة الجامعية:1440/1439هـ - 2019/2018م

شكر وعرفان

يسرنا في بداية هذا العمل المتواضع أن نتقدم بالشكر لله سبحانه وتعالى على ما وصلنا إليه

كل الشكر والامتنان إلى الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وكان له الدور العظيم في متابعة أفكارنا ولم يبخل علينا بالنصح والإرشاد إلى الدكتور عليلي محمد

كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة ونتقدم بالشكر الخالص إلى أساتذة التاريخ بصفة خاصة وإلى قسم العلوم الإنسانية بصفة عامة وإلى كل من ساعدنا على إنجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد

إهداء

إلى والدي في الخالدين رحمكما الله

كما ربيتماني صغيرا

حكيم

إهداء

إلى والدي وإخوتي مختار عامر مختارية منال نجاة

نصيرة وإبنيها سيد أحمد وريهام وإلى سندي في الحياة

أختي فاطمة وولديها عبد الرؤوف وملاك ، وخالتي وخالي

محمد، ومدربي صافي سفيان وأصدقائي وحيد ، بوبا ،

حماني ، منير ، عباد ، بلال ، بن عودة ، ناصر ، عبود ،

سعيد ، قديرو ، حماني ، ديدو ، إسلام ، محمد ، حسام

أحمد طوير

إهداء

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات

والدعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود.. أمي الحبيبة.

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح

وأوصلني إلى ما أنا عليه ..أبي الكريم

إلى رفيقة دربي وسندي في الحياة جعلك الله قرة عين

لي .. زوجتي العزيزة .

إلى فلذات كبدي وسيم صهيب ورهف .

إلى أخي وسندي شد الله الله بك عضدي .. توفيق .

إلى أخواتي صافية ، حنان ، طاووس ، نورهان .

أحمد ثابت

قائمة المختصرات:

الاختصار	ما يعنيه
ط	طبعة
ج	الجزء
د.ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تع	تعريب
د.ت	دون تاريخ
مج	مجلد
مر	مراجعة
تق	تقديم
ت	توفي
ع	عدد
ن.ش	نشر

مقدمة

شهدت منطقة الغرب الإسلامي مع نهاية القرن الرابع للهجرة وبداية القرن الخامس حالة من التفكك السياسي والتشتت العقائدي، خصوصا بلاد المغرب الأقصى الذي تقاسمت خريطته السياسية عدد من الدويلات والإمارات المتباينة سياسيا ومذهبيا، بعد سقوط دولة الأدارسة .

في الضفة الأخرى كانت الأندلس قد عصفت بها رياح الفتنة فأطاحت بالخلافة الأموية التي كانت تمثل الوحدة السياسية والمذهبية للبلاد؛ لتدخل الأخيرة في دوامة من الاضطرابات والقلاقل وعدم الاستقرار السياسي و الانقسام والتشرذم، فصارت بذلك مطمعا للنصارى بالتوازي مع خنوع ملوك الطوائف، فكانت هذه الصورة انعكاسا للوضع الذي ساد البلاد خلال هذا العصر.

ليسجل تاريخ المغرب والأندلس بعد هذا التمزق حدثين بارزين تمثلا في ظهور دولتان هما: دولة المرابطين ودولة الموحدين من بعدهم وكانتا هاتان الدولتان رمزا للوحدة السياسية و المذهبية لبلاد المغرب و الأندلس.

ولا شك أن سردنا لتسلسل الأحداث وإبراز الصورة العامة للحيز الجغرافي المدروس؛ ما هو إلا محاولة منا للوقوف على فضل توحد بلاد المغرب والأندلس تحت راية المرابطين والموحدين بعدهم وانعكاس هذا الاستقرار السياسي في صورة اتصال وثيق دام لبضعة قرون، فاسحا المجال للتبادل الحر و المباشر بين حضارتين ظل التفاعل و التأثير المتبادل بينهما قائما دون عائق وبلا حدود، ولا شك أن التأثير الأندلسي على بلاد المغرب كان أكبر مقارنة بالمغرب، لذلك وقع اختيارنا على محطة من محطات التواصل والتأثر بين العدوتين المغربية والأندلسية في فترة زمنية تاريخية هامة جاءت تسميتها على هذه الشاكلة " **الحضور الإشبيلي العلمي في مراكش وأثره على المغرب الأقصى خلال القرن 5-7هـ/ 11-13م**"

فلهذا الموضوع أهمية كبيرة تكمن في التحولات التاريخية التي شهدتها المنطقة الجغرافية المدروسة من الناحية السياسية، والتي أنتجت لنا دولا وعواصم ذات ثقل سياسي جديد، وما انعكس بطبيعة الحال على حركية الحضارة، التي انتقلت بفعل معطيات عديدة إلى مراكش عاصمة الغرب الإسلامي قاطبة، ليسلط البحث الضوء على صورة جديدة تكتسي أهمية مميزة تمثلت في "صور نقل العلوم

والحضارة عند المسلمين من مكان لآخر" وكأنها صفة لازمة لهم، خصوصا أهل الأندلس الذين ما إن تبوأ المغرب مكانه السياسي القوي حتى فتح أبوابه لهم.

وتركيزنا هنا اقتصر على من حل بمراكش من أهل إشبيلية من العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم ممن كانت لهم لمسة وتأثير على بلاد المغرب الأقصى تحت حكم المرابطين والموحدين من بعدهم.

في حين كان هدفنا الأساسي من خلال هذه الدراسة يكمن في إبراز دور الأندلس عامة وإشبيلية خاصة بموروثهما الحضاري إضافة إلى العنصر البشري الذي ترك تأثيره في عدة مجالات سواء العلمية والثقافية أو حتى السياسية بالمنطقة عموما والمغرب الأقصى خصوصا، مع سعينا إلى إبراز مدى تفاعلها و نشاطها بحاضرة مراكش.

أما اختيارنا لهذا الموضوع فهو راجع لعدة دوافع منها:

رغبتنا و شدة إهتمامنا بالمجالات الفكرية، لاسيما في بلاد الأندلس و حواضرها الكبرى والتي شهدت حضارة راقية و فكرا علميا منيرا في مختلف محطاته التاريخية الإسلامية؛ دفعتنا للخوض في غمار موضوع تمحور حول دور العلماء الإشبيليين ومدى تأثيرهم بالمغرب الأقصى، وما شجعنا في المضي قدما في اختيارنا هذا؛ هو عدم وجود دراسات متخصصة ومستقلة في هذا الموضوع إصافة إلى:

- الرغبة في دراسة فترة زمنية خصبة وغنية بالأحداث الهامة والمنجزات الخالدة سواء في المغرب أوالأندلس.
- محاولة رصد التغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة وتأثيرها وتأثرها بالحركة الثقافية والعلمية.
- محاولة إبراز دور شخصية أهل المغرب الإسلامي في تأسيس الدول و مدى تأثيرها على السجل التاريخي، لاسيما في ظل الوحدة التي أفرزها قيام دولة المرابطين والموحدين من بعدهم وما انبثق عنها من حركة فكرية هامة.

وكان تركيزنا في هذا البحث على الفترة المحصورة ما بين القرن الخامس والسابع للهجرة، الحادي عشر والثالث عشر ميلاديين، حتى نغطي الأحداث على أيام دولتي المرابطين ثم الموحدين، وبطبيعة الحال كانت هذه الفترة مخصوصة بالمغرب الأقصى (مراكش) وبلاد الأندلس (إشبيلية).

وإشكاليتنا هنا تتمحور حول انصهار الأندلس والمغرب سياسيا تحت مظلة المرابطين والموحدين ومدى استفادة العدوتين من هذا التداخل السياسي والحضاري والذي كان من نتائجه حضور تلك النخبة العلمية الإشبيلية في مراكش ودورها في مختلف مناحي الحياة المغربية، وهذا ما قادنا إلى طرح مجموعة استفهامات تمثلت في مايلي:

- كيف كانت الحالة السياسية لبلاد المغرب والأندلس أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس للهجرة وكيف ساهمت هذه الحالة في بلورة مشهد مغاير؟
- ماهي الخصائص الجغرافية والتاريخية والبشرية لحاضرتي إشبيلية ومراكش؟
- كيف ساهمت السلطة السياسية الحديثة التي قامت بالمغرب في مد سبل التواصل والترابط الحضاري بين المغرب والأندلس؟
- ماهي الميادين العلمية التي برع فيها الوافدون من إشبيلية وماهي مساهماتهم في الحقل العلمي؟ وإلى أي مدى ساهم هذا الحضور الأندلسي عامة والإشبيلي خاصة في بناء وتعزيز أسس حضارية في مراكش بحكم أنها حاضرة مغربية ناشئة؟

و كان هذا الموضوع لطبيعته إنما يحتاج لتعدد المناهج التي حري بنا سلكها حتى نضمن من خلالها دراسة موضوعية و دقيقة على قدر الإمكان، وأمكن لنا أن نستخدم منها ما يلي:

المنهج التاريخي التحليلي والذي تجسد في رصد وتتبع المحطات التاريخية التي مرت بها بلاد المغرب والأندلس وما شهدته من تغيرات جوهرية على مسرح الأحداث.

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي في ذكر الأقاليم الجغرافية المدروسة وطبيعتها ومميزاتها.

إضافة إلى المنهج المقارن والذي كان حاضرا إما في المقارنة بين المغرب والأندلس أو بين الدولة المرابطية والموحدية حتى وإن كانت هذه المقارنة مستترة غير ظاهرة إلا أنها فرضت نفسها بحكم أننا تناولنا موضوعا مقيدا بين فترتين زمنيتين .

أما عن الدراسات السابقة للموضوع فإن أيدينا لم تصل بنا إلى أي دراسة متخصصة ومستقلة عن هذا الموضوع، باستثناء بعض الدراسات المقاربة نوعا ما والتي إما خالفت موضوعنا في الحيز الجغرافي أو الفترة الزمنية أو الفئة المعنية بالدراسة، لكن في النطاق العام فإنها تشترك في بوتقة واحدة، نذكر منها:

- أطروحة دكتوراه "الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط (القرن 7-9هـ/ 13-15م)" لمحمد سعداني.
- أطروحة دكتوراه " الروابط العلمية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين(541_626هـ/1146_1228م)" لحاكمي الحبيب.
- مذكرة ماجستير "هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري (مابين القرن 7-9هـ/ 13-15م)" لمريم بوعامر.

و حتى نعطي دراستنا هذه صيغة علمية و منهجية أكثر قمنا بصياغتها في هيكلة تمثلت في مقدمة، ومدخل وفصلين وخاتمة، حيث تم عنونة المدخل بـ "الأوضاع السياسية للمغرب والأندلس مابين القرنين (5-7هـ/11-13م)" وخلاله تم التطرق إلى الحالة التي كانت عليها بلاد المغرب وكذا الأندلس من التمزق السياسي والتفرق المذهبي، كما عالجنا ظهور حركة المرابطين وتأسيسهم لدولة جمعت شمل المغرب وحتى الأندلس تحت راية واحدة، ثم خلافة الموحدين لهم على الساحة بعد إسقاط دولتهم.

ثم جاء الفصل الأول من البحث تحت عنوان إشبيلية ومراكش "نبذة تاريخية ونظرة على التركيبة الاجتماعية" وقد استعرضنا فيه حاضرتي إشبيلية ومراكش من حيث الموقع الجغرافي والنشأة في عرض تاريخي وفق تسلسل زمني، كما ألقينا الضوء على التركيبة الاجتماعية المتنوعة لكل منهما.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان **"مظاهر الإتصال الحضاري بين المغرب والأندلس"** وقد تناول العوامل المساعدة في ازدهار الحركة العلمية من تشجيع للعلم والعلماء كذلك انعكاس الوحدة السياسية والمذهبية للمغرب والأندلس على سهولة الاتصال بين العدوتين، كما تطرق إلى أبرز ميادين العلوم التي كانت على عهد المرابطين والموحدين، وكذا ذكر مجموعة من العلماء الذين أثروا الساحة العلمية بمساهماتهم خصوصا علماء إشبيلية الذي حلوا على مراكش. وفي الأخير خاتمة البحث و التي هي بمثابة حوصلة عن الموضوع المدروس.

عرض لأهم المصادر والمراجع:

ودراسة كهذه إنّما تحتاج إلى مصادر متنوعة ومختلفة، وهو ما كان باستخدام ثلة من المؤلفات حوت في طياتها مادة علمية معتبرة لها صلة بموضوع البحث وإطاره الزماني والمكاني، وهذا ما حتم علينا استعراضها على اختلافها وتنوعها، فمنها ما صنف ضمن كتب التاريخ العام ومنها ما كان ضمن كتب الجغرافية والموسوعات العامة، وكتب التراجم وعدد من الدراسات الحديثة، وكان من بينها:

أ/ كتب التاريخ:

1. **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية:**

لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن للهجرة، حققه كل من سهيل زكار وعبد القادر زامة، هذا المصدر القيم أرخ لمحطات هامة من تاريخ المغرب والتي ذكر فيها اختطاط مدينة مراكش وظهور المرابطين، وكذا جوازهم للأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين، كما أرخ لحركة الموحدين من بعدهم واستيلائهم على المغرب.

2. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:**

لابن عذارى المراكشي والمتوفّى حوالي سنة (712هـ/ 1312م)، إذ يعتبر من المصادر المتميزة، وهو في عدة أجزاء فصّل فيها عن التاريخ السياسي للمغرب وللأندلس.

3. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:**

لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد المقرّي المتوفى سنة (1041هـ/1632م) والذي شمل أحداث ووقائع كثيرة عن التاريخ الأندلسي، ونظرا لزخمه المعرفي فإنه لا يكاد يوجد بحث عن بلاد المغرب والأندلس يخلو من مادته العلمية، لاسيما في جزئه الأول.

4. **العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر:**

لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة (808هـ/1406م) ويعد هذا المصدر أيضا موسوعة شاملة تحوي مختلف الفنون وتحمل في طياتها علما غزيرا لا يستغني عنه الطالب أو الباحث عموما في مختلف دراساته سواء الاجتماعية أوالسياسية أو التاريخية، وقد استقينا منه معلومات شتى أفادتنا في بحثنا.

ب/ كتب الجغرافيا:

1. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:**

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف الإدريسي المتوفى حوالي سنة(560هـ/1066م)، وبهذا يكون الإدريسي قد عاصر أواخر عهد المرابطين ونقل لنا صورة عن أحوال المدن والبلاد وأوضاعها خلال هذه الفترة المهمة من التاريخ الأندلسي.

2. **الروض المعطار في خبر الأقطار:**

لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري الصنهاجي (ت727هـ/1326م) كتاب مميز جمع بين الوصف والإخبار، تناول الجوانب الحضارية لمدن الأندلس والمغرب، وقد أفاد البحث في الوصف والتعريف بحاضرتي مراكش وإشبيلية من الناحية الجغرافية وكذا التاريخية.

ج/ كتب التراجم:

1. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام:

لعباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد السملالي المراكشي الولود سنة 1294هـ، وقد حوى الكتاب القيم تراجم من حل مراكش وأغمات من الرجال النابهين، والعلماء والمحدثين، سواء كانوا من أهلها أو من غيرهم، سبق هذه التراجم بوصف للمدينتين وبيان فضلهما وما خصتا به من المزايا، ويعد الكتاب رصيدا هاما يسد به نقص المؤلفات التي تنصف حاضرة من حواضر الغرب الإسلامي، وقد أفاد البحث في عملية إحصاء علماء حاضرة إشبيلية الذين حلوا بمراكش أو عرجوا عليها .

2. سير أعلام النبلاء:

لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (748هـ/1374م)، يعتبر هذا الكتاب –والذي يضم حوالي 23 جزء– موسوعة ذات أهمية كبرى، وفيه من التراجم للأعلام الشيء الكثير بحيث يغطي فترة زمنية كبيرة انحصرت بين عصر النبوة إلى غاية عصر المؤلف.

ومن المراجع التي استخدمناها فهي كثيرة فيمكن ذكر بعضها حسب الأهمية؛ فكانت مؤلفات حسين مؤنس ذات فائدة كبيرة للبحث بالإضافة إلى مجموعة محمد علي الصلابي وهي الأخرى التي ركزت على دراسة التاريخ الأندلسي، كما كان لمجموعة من المراجع الأخرى الإضافة الفارقة للبحث منها:

كتاب **المغرب عبر التاريخ** لمؤلفه إبراهيم حركات، **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الاندلس في عصر المرابطين** لصاحبه حمدي عبد المنعم حسين، **الأندلس في نهاية المرابطي ومستهل الموحدين عصر ملوك الطوائف الثاني** لعصمت عبد اللطيف دندش، إضافة إلى العديد من المصادر والمراجع المتميزة التي عالجت تاريخ المغرب والأندلس وحضاراتهما والتي قدمت الفائدة المرجوة.

ولا شك أن مسيرة البحث والتقصي في هذا العمل إنما عرقلتها جملة من الصعوبات من بينها:

- قلة المصادر المتخصصة بتاريخ إشبيلية، حتى وإن وجدت فإننا نلقفه في شكل نتف متناثرة هنا وهناك وبشكل موجز جدا.
- بما أن بحثنا يغطي فترتين زمنيتين تمثلت في الدولتين المرابطية والموحدية فقد واجهتنا صعوبة التكيف والتوفيق بين الفترتين، لذلك فرضت المقارنة نفسها خصوصا عند حديثنا عن جزئية الحركة العلمية على العهدين وما ترافق معها من إشكالية وجود بعض الشخصيات المخضرمة والتي عاصرت الدولتين فصعب علينا تصنيفها إلى أي عهد.

ميزة الموضوع المتشعبة؛ إذ أنه يمتاز بجوانبه وجزئياته المتعددة التي توزعت ما بين المغرب الأقصى والأندلس ومابين مراكش وإشبيلية وما بين المرابطين والموحدين، فكل جزئية من هذا تحتاج إلى دراسة مفصلة مما صعب علينا عملية التوفيق والتنسيق مع مراعاة عدم الاخلال والتقصير للوصول إلى الهدف المنشود.

المدخل

أولا: التحولات السياسية في بلاد المغرب الأقصى:

شهد «المغرب الأقصى» خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين فترة مزدهرة عُدَّت من أخصب فتراته حيث قامت على أرضه أكبر دولتين عرفتهما المنطقة فى هذا الوقت هما: «دولة المرابطين» و«دولة الموحدين» اللتان أبرزتا شخصية «المغرب الأقصى» باعتبارها دولاً مستقلة، قامت على أكتاف أبنائها، وبسطت نفوذها على مناطق شاسعة بالمغرب، فضلا عن «الأندلس» وشاركت مع غيرها فى إرساء قواعد الحضارة فى غرب الدولة الإسلامية بنظمها وحضارتها، فضلا عن ثقافتها وعلمائها.

في المقابل شهد المغرب قبل هذه الفترة حالة من الاضطرابات السياسية والانحلال الخلقي والديني، تزامن ذلك مع سقوط دولة الأدارسة على يد العبيديين بقيادة أبي عبد الله الشيعي فتمزق كيان المغرب السياسي، وخيَّمت عليه المنازعات القبلية والحروب الطاحنة وتوزعت المنطقة بين القبائل المختلفة والأسر المتناحرة، وانقسمت الخريطة السياسية للمغرب الأقصى إلى أربعة تجمعات أو إمارات هى: إمارة مغراوة، وإمارة بني يفرن، إمارة بني خزرون، وإمارة برغواطة.

1 /- إمارة مغراوة في فاس وأغمات :

بعد اضمحلال قوة الأدارسة خلفهم بفاس موسى بن أبي العافية،[1] زعيم قبيلة مكناسة وبنوه فيما بعد، واستولوا على المغرب، أقام المغراويون في المغرب بدعوى هشام المؤيد وحاجبه

1_موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن تامريس بن فاريس بن ونيف بن مكناس بن ورصطيف المكناسي، ملك أجزاء كبيرة من المغرب الأقصى في أوائل القرن الرابع الهجري كان مقيما لدعوة الخليفة العبيدي القائم. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د.ط)، عصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972م. ص83.

المنصور بن أبي عامر وذلك بعد انقطاع أمر الأدارسة، وبن أبي العافية، فخلعوا بذلك الدعوة للعبيديين[1].

وكانت لهم حروب كثيرة طال أمدها مع بني يفرن، لتنقسم بعدها الإمارة وتخل في حروب وضيق معيشة على ما يذكره علي الجزنائي[2] وهذا الوضع ساعد لمتونة (المرابطين) في التمكن من الوضع بقضائهم على آخر أمراء مغراوة معنصر بن حماد، وظلت حروبهم مع تميم بن معنصر إلى أن سقطت فاس نهائيا سنه (462 هـ/ 1070م)[3].

2/إمارة بني يفرن[4] في منطقة سلا و تادلا:

استقل بنو يفرن في منطقة سلا وتادلا، وكان قد حكم موسى بن أبي العافية[5] منطقة سلا في سنة (317هـ)، واتخذها عاصمة لبني يفرن، إلا أن استقرارهم كان متذبذبا، ميزته الحروب والصراعات مع غيرهم من مغراوة، ولاسيما على عهد أبي الكمال تميم اليفرني، الذي ما لبثت غاراته على فاس تنتهي الى أن تمكن منهم المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين سنة (466هـ/1073م)[6].

1_عبد الرحمن ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مر: سهيل زكار، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص203. وأيضا: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص103.

2_علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص40_41. ينظر: إبن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص112_113.

3_ابن خلدون، المصدر السابق، ص179_180. وأيضا: سعد زغلول، المرجع السابق، ص505.

4_من بطون زناتة من البربر، كان موطنهم الأصلي فيما بين تلمسان وتاهرت، منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني زعيم الثورة ضد الدولة العبيدية، ومنهم يعلا بن محمد اليفرني. ينظر: حمدي عبد المنعم حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص08.

5_خلفه بعده ابنه إسماعيل بن موسى، ثم عبد الله أبو عبد الرحمن، ثم محمد بن عبد الله، ثم القاسم بن محمد الذي هزم المرابطين إثر استنجاد زناتة بعد مقتل معنصر المغراوي سنة 460هـ/1068م، إلا أنه لم يصمد بعدها أمام قوات يوسف بن تاشفين، وتكمن منه ومن جمع من مكناسة و زناتة سنة 463هـ/1071م، وكانت نهاية مكناسة من المغرب متزامنة مع انقراض ملك مغراوة الزناتية. ينظر: سعد زغلول، المرجع السابق، ص501.

6_حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص9_13.

على أن الصراع و كثرة الحروب بين مغراوة و بني يفرن حول السيادة لا يمكنه تغطية الجانب الإيجابي والدور البارز الذي لعباه في محاربة بدع وخرافات البرغواطيين، على ما سيأتي ذكرهم، ولاسيما أن ابن خلدون يجعل قبائل مكناسة ومغراوة وبني يفرن بمثابة القوة الشرعية بعد دولة الأدارسة، باعتبار هذه القبائل الزناتية قبائل سنية مسلمة، و الأخص بالذكر جهاد إمارة سلا وشدة وطأتها على برغواطة عهد الأمير أبي الكمال تميم اليفرني[1]، الذي كان يغزوهم مرتين في كل سنة، ويعمل فيهم السيف، ويشدد في منازعتهم[2].

3/ إمارة بني خزرون في سلجماسة ودرعة :

استطاع خزرون بن فلفل الزناتي المغراوي القضاء على أسرة بني مدرار التي كانت مسيطرة على سجلماسة سنة(366هـ/976م)[3]، كما استولى على درعة أيضا فأقاموا دعوتهم للأمويين باسم هشام المؤيد بقرطبة، ولإبن أبي عامر، وكانت بينهم وبين بلكين بن زيري صراعات حاول من خلالها بلكين استرجاع سجلماسة إلى حكمه وبقيت بحكم وانودين ابن خزرون إلى أن تمكن منها زيري بن مناد، ولكن الخليفة عبد الملك بن أبي عامر أقرَّ وانودين حاكما عليها بعد وفاه بلكين بن زيري سنة(373هـ/983م)[4] وملك بعد ذلك مسعود بن وانودين سنة (417هـ/1026م) فاستولى على سجلماسة ودرعة، ثم خلفه ابنه محمد، فظلت بحكمهم إلى أن استولى عليها المرابطون سنة (445هـ) بعد قضائهم على آخر أمرائها مسعود بن محمد[5].

1_أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ت)، ص255_256.

2_السيد عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة الجامعة، 1993م، ص42.

3_ابن خلدون، المصدر السابق، ص174.

4_سعد زغلول، المرجع السابق، ص505_506.

5_لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح.تع: إ. ليفي بروفنسال، مج3، ط2، دار المكشوف، بيروت_ لبنان، 1956م، ص150_151.

4/ إمارة برغواطة في إقليم تامسنا:

ظهرت برغواطة[1] كإقليم مستقل سياسيا أوائل القرن الثاني الهجري، امتد نفوذهم من المنطقة الممتدة من مدينة الرباط الحالية إلى ثغر فضالة الذي كان قاعدة لأسطولها إلى أزمور على مصب وادي أم الربيع، كانت عاصمتهم في بعض الأحيان مدينة شالة[2].

يرجع البعض تأسيس دعائم الدولة البرغواطية إلى طريف بن شمعون[3]، في حين يرى البعض الآخر بأن صالح بن ظريف هو من أسس هذه الدولة، بحيث قام صالح هذا بابتداع ديانة جديدة بعيدة كل البعد عن الديانة الإسلامية، وشرع شرائع مبتدعة بتأثيرات يهودية واضحة، فقال بصوم رجب بدلا من رمضان، وفرض عشر صلوات خمس منها في النهار وخمس في الليل، وألغى الآذان والإقامة، وأقر التضحية في اليوم الحادي عشر من محرم... وغيرها من البدع التي جعلت المسلمين يعتبرونهم مجوسا مارقين عن الدين فأحلُّوا قتالهم[4].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الزيريون والزناتيون و الأدارسة، إلا أن بدعتهم وضلالتهم بقيت لم تستأصل، فكان عصر الضعف في هذه الدولة عهد أبي منصور[5] بحيث

1_اختلف في اسم برغواطة فبعضهم يرى بأنه لم يكن إسما لقبيلة معينة يجمعهم أصل واحد وأب واحد، وإنما اسما لأخلاط من البربر اجتمعوا على صالح بن طريف البرباطي نسبة إلى وادي برباط جنوب الأندلس فصارت كلمة برباطي تطلق على كل من اعتنق ديانته ثم حرفت إلى برغواطي .

2_محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ص47.

3_طريف بربري من برغواطة وليس يهودي، انسحب من ثورة ميسرة بعد عزله وعاد إلى تامسنا ليتزعم البرغواطيين، بقي على دين الإسلام وعلى المذهب الخارجي بالذات، وبعد وفاته خلفة ابنه صالح الذي كان خارجيا، وكان من أهل العلم والخير ثم انسلخ عن آيات الله عز وجل وادعى النبوة، وأقام قرآنا خاصا به في ثمانين سورة، اختلف في تاريخ ظهوره ووفاته. ينظر: محمد الطالبي، المرجع نفسه، ص68_69. ص26.

4_محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا في التاريخ والحضارة، إشراف الأستاذ: محمد أحمد حسب الله، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، 1417هـ/1997م، ص35.

5_هناك من يرى بأنه لم تستأصل بدعتها إلى غاية عصر الموحدين، بدليل أنهم وقعت بينهم وبين الموحدين حروب. ينظر: محمد الطالبي، المرجع نفسه، ص_ص 73. 76_77.

اشتدت وطأة المرابطين عليها، وضيقوا عليها بشكل كبي، وأرغموهم على إعادة تصحيح عقيدتهم الإسلامية[1]، إلى أن تمكنوا منها بالقضاء على آخر أمرائها عيسى ابن أبي الأنصار.

ثانيا: المشهد السياسي للأندلس:

1/عصر الخلافة الأموية:

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

بعد زوال ملك بني أمية بالمشرق سنة 132هـ، والذي دام قرابة الاثنان وتسعون سنة[3]، قام بأمر الخلافة أبو العباس السفاح[4]، فدانت له بلاد العراق وخرسان والحجاز والشام والديار المصرية في حين استولى عبد الرحمن بن معاوية[5]، الذي فرّ من اضطهاد العباسيين[6] في المشرق على بلاد الأندلس وأعاد ملك أجداده بها و كان ذلك سنة 138هـ[7].

1_أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص251.

2_سورة آل عمران، الآية 26.

3_عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132هـ/750م)، تح: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م، ص 217.

4_الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأمة، عبد الله بن عباس، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، العباسي، أول الخلفاء من بني العباس. ينظر: الذهبي شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ج6، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان، 1417هـ/1996م، ص77.

5_عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمير الأندلس وسلطانها، أبو مطرف الأموي، ولد سنة 113هـ بتدمر. ينظر: ، ص244. وأيضا: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص32. وأيضا: إبن الآبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج1، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م، ص35.

6_ابن كثير عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج13، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، 1419هـ/1998م، ص276.

7_الضبي، المصدر نفسه، ص32.

تملك عبد الرحمن الداخل الأندلس ثلاثا وثلاثين سنة، وبنوه من بعده فعمرت بذلك دولة بني أمية زهاء الثلاثة قرون؛ فقد حكم عبد الرحمن الداخل سنوات (155-188هـ)، وخلفه من بعده سبعة أمراء تباينت سيرتهم في الحكم ومعاملتهم مع الرعية، وهم على التوالي: هشام بن عبد الرحمن المعروف بهشام الرضى (171هـ/180هـ)، ثم ابنه الحكم بن هشام الملقب بالربضي (180هـ/206هـ) ثم ابنه عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط (206هـ/238هـ)، ثم وليه عبد الله بن محمد (238هـ/273هـ)، ثم المنذر بن محمد حكم حوالي سنتين، ثم أخوه عبد الله بن محمد(275هـ/300هـ)[1].

ليصل حكم بني أمية إلى أوجه في عهد عبد الرحمن المعروف بالناصر[2]، فبلغت الدولة أوج مجدها وعزّها، وبلغت الحضارة أزهى أعوامها أنضر أيامها، حتى أصبحت قرطبة على أيامه درّة العالم المتمدن والمتحضر، وأعلن الناصر بعد هذا الخلافة سنة (316هـ/928م)، واتخذ لقب الخليفة لنفسه، لتصبح الأندلس دارا لخلافة إسلامية[3]، ووفدت الوفود إلى قرطبة يخطبون ود الخليفة، وذاع صيت قوتها وحضارتها في أوروبا كلها[4].

لقد خلف عبد الرحمن الناصر ولده الحكم الثاني الملقب بالمستنصر بالله[5] (350_366هـ/961_976م)، فسار بسيرة والده في حكمه للأندلس، وعاشت بذلك

1_الذهبي، المصدر نفسه، ج8، ص244. وأيضا: الضبي، المصدر نفسه، ص33_38 . وأيضا: إبن الآبار، المصدر نفسه، ج1، ص120،119،113،44،42.

2_عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن الداخل عبد الرحمن، سلطان الأندلس، المدعو: أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أبو المطرف الأموي المرواني. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص265. وأيضا: الضبي، المصدر السابق، ص39.

3_حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1405/1985م، ص.32_33.

4_حسين مؤنس، المرجع نفسه ص33.

5_الحكم بن عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين بالأندلس، أبو العاص، المستنصر بالله بن الناصر الأموي المرواني.ينظر: الذهبي،المصدر نفسه،ج8، ص269. الضبي، المصدر نفسه،ص40.

هذه الدولة عصرا ذهبيا، لاسيما في ميدان العلوم والآداب[1]، وبعد وفاته تولى الحُكم الحَكم ابن هشام[2] وهو لم يبلغ الحلم بعد، بالرغم من وجود إخوته المؤهلين أكثر منه، وهذا ماكان له أثر في تدهور أمور الخلافة والدولة فتطلع إلى مقاليد الأمور رجل أهله للسلطان طموحه وحزمه وهو محمد بن أبي عامر[3]، فتسلط على أمور الدولة وأحكم الوصاية على الخليفة الطفل[4].

ثبت ابن أبي عامر هذا أركان الدولة ولكنه أضعف البيت الأموي بما استبد دونهم الأمر وأورث السلطان بنيه، فانتقل الحكم من الأسرة الأموية إلى الأسرة العامرية، ولم يقر الناس لبني عامر بما أقروا لبني أمية، فزالت هيبة الملك و تنازعه بنو أمية و بنو حمود العلويون حتى زالت الدولة كلها سنة 422هـ.

1_عبد الواحد ذنون طه وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2000، ص.ص190.186

2_هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الخليفة، المؤيد بالله بن المستنصر بالله بن الناصر، الاموي الأندلسي، أبو الوليد، عاصر ملوك بني أمية. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص271. وأيضا: الضبي، المصدر نفسه، ص43.

3_هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري الحاجب الملقب بالمنصور أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر، ينظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص268.

4_ ذنون طه، المرجع السابق، ص192.

2/عصر ملوك الطوائف:

انقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتشر عقد الخلافة في الأندلس[1] وبذلك فقدت الأندلس وحدتها السياسية، وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة، أطلق عليها المؤرخون اسم دويلات الطوائف وعرف حكامها بملوك الطوائف[2]، وقد مثلت هذه الطوائف سبع مناطق رئيسية:

أ/ **بنو عباد**[3] بإشبيلة: فإشبيلية تأتي في طليعة هذه الطوائف لسعتها وتفوقها السياسي وقد حكمها بنو عباد الذين سعوا إلى إلحاق الممالك الأخرى إلى ملكهم[4]، وظلوا بإشبيلية إلى أن استولى عليها المرابطون، وكان قد أسس هذه المملكة وهي مملكة بني عباد كبيرهم إسماعيل بن محمد بن عباد اللخمي[5]، ثم خلفه ابنه هشام وحاجبه المنصور بن أبي عامر الذي أسند القضاء لإسماعيل على ولد بن عباد، فبقى على رأسه إلى أن سقطت الخلافة الأموية[6]، وكان آخر حكام بني عباد المعتمد بن عباد[7].

1_أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت_لبنان، 1388هـ/1968م، ص438.

2_ذنون طه، المرجع نفسه، ص224.

3_بنو عباد رهط من العرب من لخم جازوا إلى الأندلس وتفرقوا فيها، ثم انتقلوا الى إشبيلية فنموا وتصدروا للوجاهة في دولة الحكم المستنصر وابنه هشام وحاجبه المنصور. ينظر: ابن الخطيب المصدر السابق، ص152.

4_الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من القتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق، بيروت، 1402هـ/ 1981م، ص387.

5_هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ين قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم عِطاف بن نُعيم لخمي النسب. ينظر: ابن الأبار، المصدرالسابق، ج2، ص34.

6_لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص152.

7_عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص391.

ب/ بنو زيري بغرناطة: وقد دام حكمهم سنوات (406_483هـ/ 1012_1090م)[1].

ج/ بنو جهور: الذين استقلوا بقرطبة وأقاموا حكمهم بها.

د/ بنو الأفطس: الذين حكموا منطقة بطليوس و الأقاليم المجاورة من جنوب غربي الأندلس ، ودام حكمهم من سنة (422_478هـ/1030_1094م)[2]

هـ/ بنو ذي النون: أصحاب طليطلة، كانوا قد استوطنوا بلدة شنتبرية قرب طليطلة[3].

و/ بنو عامر: في بلنسية وهم أبناء الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر[4] أقاموا حكمهم فيها منذ سنة (412_478هـ/1021_1080م).[5]

ز/ بنو هود: بسرقسطة كانوا قد استقروا بمنطقة الثغر الأعلى واستقلوا بها منذ 1019م/1141م[6]، وكانوا متميزين بالشجاعة و الشهامة[7].

وهكذا قسمت البلاد واستولى كل عنصر وقبيلة على منطقة من مناطقها إذ وصل عدد هذه الطوائف ما يقرب الاثنان و العشرون مملكة، وأما المساحة الباقية والتي تقارب حوالي ربع مساحة الأندلس، فكانت بأيدي النصارى[8]، ثم إنه لا يسعنا ذكر هذا التفرق و التشتت السياسي بالتفصيل وإنما قصدنا من هذا العرض الوصول إلى الحديث عن حاضرتي إشبيلية و مراكش، فكان لهما الحضوة أن خصصنا لكل منهما فصلا مستقلا.

1_نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت_لبنان، 1415هـ/1995م، ص212.

2_نجيب زيبب، المرجع نفسه، ص213.

3_حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتبة الأسرة، 2004م، ص418.

4_ابن الآبار، المصدر نفسه، ص367.

5_نجيب زيبب، المرجع نفسه، ص212.

6_ابن الآبار، المصدر نفسه، ص212.

7_ابن الأبار، نفسه، ص246.

8_راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة إقرأ، 1432هـ/ 2014م، ص323_324.

لقد انتهينا من ذكر موجز لممالك الطوائف وذكر زعمائها، في محاولة منا لتسليط الضوء على حقبة زمنية تعد هي الأغرب والأسوء والأجمل في آن واحد من تاريخ الأندلس الرطيب نعم لقد جمعت هذه الفترة التي دامت حوالي ثمانين عاما كل هذه المتغيرات والمتناقضات، فقد كانت غريبة لأنها جاءت بعد قوة ووحدة لا مثيل لها لتشهد فرقة وتمزقا لا مثيل له أيضا والأسوء أنها كانت بداية النهاية لوجود المسلمين في هذه البلاد الطيبة، كيف لا ومع ظهور الطوائف واقتتالهم بدأ يتقلص حجم الدولة على حساب ممالك النصارى فكانت بذلك بداية العد التنازلي لأفول شمس المسلمين على الأندلس وكانت الأجمل لأنها شهدت تطورا وازدهارا حضاريا وعلميا لافتا، نظرا لتنافس هؤلاء الملوك على التفرد بالفخامة العمرانية والحضارية[1] والتألق والبروز علميا وأدبيا.

ثم جاءت بعد كل هذا مرحلة أخرى لامعة مثلها المرابطون عندما بسطوا أيديهم على الأندلس فأعطوا للبلاد قوة ومهابة لم تشهدها منذ أيام المنصور ابن أبي عامر، فأمدوا بذلك في عمر الأندلس إلى أن سقطوا تحت سطوة الموحدين في المغرب ثم الأندلس الذين وقعوا على النهاية بسقوطهم في معركة حصن العقاب، وهنا سنحاول عرض تسلسل الأحداث بدءا بعبور المرابطين للأندلس إلى غاية نهاية حكم الموحدين .

ثالثا: المرابطون بالمغرب والأندلس:

ينتسب المرابطون إلى قبيلة لمتونة من بطون صنهاجة، عرفوا بداية باسم الملثمين[2]، وهم فروع شتى على رأسهم جدالة و مسوفة برئاسة لمتونة في بني وارتانطق بن منصور بن مصالة

1_محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص418.

2_حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص39_40. وأيضا: عباس نصر الله سعدون، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المؤمنين، ط1، دار النهضة العربية، بيروت_لبنان، 1405هـ/1985م، ص31.

قوي أمرهم في المجال التجاري إلا أن التنافس حول الزعامة غالبا ما كان يؤثر على وحدتهم[1] لتسند الرياسة فيما بعد إلى جدالة بتولي يحي بن إبراهيم الجدالي[2].

كان موطنهم بالصحراء، بحيث امتد تواجدهم من غدامس شرقا الى المحيط الأطلسي غربا، و من جبال درن شمالا الى أواسط الصحراء الكبرى جنوبا[3].

ارتحل يحي بن ابراهيم في سنة (427هـ/1035م) لأداء فريضة الحج و عند عودته اغتنم فرصة حضوره مجلس أبي عمران الفاسي[4]، شيخ المالكية بالقيروان ليتفقه و يزداد علما، واعجب بذلك و سر بتلك المظاهر التي تميزت بالعلم و الفضائل، فأخذته الغيرة على أهله و عشيرته الذين غلب عليهم الجهل و خيم على طباعهم الفساد، وارتأى أن يطلب من الفقيه أبي عمران الفاسي بأن يرسل معه من يفقههم و يخرجهم من قوقعة الظلام والجهل[5].

1_ليفي بروفنسال، نخب مختارة جامعة لأخبار المغرب الاقصى،(د.ط)، 1948م، ص28.

2_أبي عبيد البكري، أخبار إفريقية و المغرب من كتاب المسالك و الممالك، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت). ص 164.

3_علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع و النشر الاسلامية ن القاهرة_مصر، 1424هـ/2003م، ص 12.

4_ أبو عمران موسى بن عيسى بن ابي حجاج الغفجومي، يذكر صاحب بيوتات فاس فيقول ومنهم بن ابي الحاج ... بيت حسب و ثروة و فقه و علم ... منهم الفقيه الإمام موسى بن ابي الحاج ... المعروف بأبي عمران الفاسي، ولد سنة 368هـ بمدينة فاس التي نسب إليها، رحل الى قرطبة و تفقه بها عند الأصيلي، وسمع بدمشق من أبي الفتح بن أبي الفوارس و البقلاني وعلى أبي الحسن القابسي، وأبي بكر بن الطيب في بغداد، كان من أحفظ الناس و أعلمهم، توفي سنة 430هـ. ينظر: ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح.تع: محمد الأحمدي أبو الأنوار، دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ص337_338. وأيضا: عبد الإله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم و الادب والسياسة، ج1، تق: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت_لبنان، ط1، 1430هـ/2010م، ص189 .

5_حمدى عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الاندلس في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المعرفة، 1997م، ص38.

ويبدو أن وعورة المنطقة وقساوة طبيعتها جعلت طلبة العلم هناك لا يستجيبون دعوته وعندئذ كتب أبي عمران إلى تلميذه وجاج بن زلو اللمطي[1] بمدينة نفيس قرب أغمات[2] ليبعث بأحد من خيرة طلبته وهو عبد الله بن ياسين الجزولي[3] الذي قامت على يديه دوله المرابطين لاحقا.

دخل عبد الله بن ياسين موطن جدالة حوالي (430 هـ/ 1038م)، إذ استقبل بترحيب واستحسان من أهلها، فشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، فأجاد واجتهد في تعليم الناس أمور دينهم وشعائره، لكنه واجه من الصعوبات ما واجه في تلك القبيلة، إذ لم يجد من الإسلام إلا اسمه، فالجهل مطبق و الانحراف عن العقيدة الصحيحة شديد، إلا أنه لم يستكن لذلك وظل يدعوا فيهم ويحارب المنكرات والرذائل، ويحرص على عدولهم عن العادات الفاسدة[5].

ولعل ما جاء به عبد الله بن ياسين من قيم الإصلاح والشدة والإخلاص اصطدم بمصالح الأمراء والأشراف، ما أدى إلى التحريض والثورة عليه فخرج مغصوبا واتجه بمن معه إلى قبيلة لمتونه، ليستقر أمره في ما بعد في رباط على مصب نهر السنغال، وأخذت الناس تنظم إليه

1_من أهل السوس الأقصى كانت له دار بناها سماها بدار المرابطين لطلبة العلم، وقراء القران. ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات(ت617هـ/1220م)، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط_ المملكة المغربية، 1997م، ص 89.

2_أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2، تح.تع : جعفر الناصري ومحمد الناصري، (د.ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ص6.

3_عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجازولي، ولد في قرية تمامانات بضواحي صحراء غانة. ينظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص165.

4_البكري، المصدر نفسه ، ص165.

5_حسين مؤنس، معالم تاريخ، المرجع السابق، ص183_184. وأيضا: محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة الى مدينة العلم، (د.ط)، القافلة للنشر و التوزيع، باب الزوار_الجزائر، 2014م، ص21.

فأخذ في تعليمهم وترسيخ قوة الإسلام فيهم، وتقوية عزيمة الإخلاص الجهاد لديهم، فسموا لأجل هذا بالمرابطين[1].

والملاحظ أنه خلال هذه الفترة كان المغرب الأقصى يشهد نوعا من الفوضى السياسية، والصراعات بين أمراء دويلاته و خاصة برغواطة ولهذا السبب كان من الضروري أن يوجه عبد الله بن ياسين وأتباعه أنظارهم إلى شيوخ الملثمين يدعوهم إلى التوبة والاستقامة، فلما يئس منهم قال لأصحابه: " اغزوهم على بركه الله "، فبدأوا بغزو قبائل صنهاجة، فأعمل فيهم السيف واستطاع إخضاعهم بما فيهم لمتونة ومسوفة، حتى أذعن له الجميع ودانت القبائل واستقامت الأحوال وقرأ القرآن وأقيمت الصلاة وأديت الزكاة[2].

خرج المرابطون سنة (446 هـ/ 1054م)، لغزو درعة وإخضاع أمراء مغراوة الذين ساهموا بقسط وافر في انتشار الفواحش والمنكرات، وتمكنوا منهم بعد اصطدامهم بزعيمهم مسعود بن وانودين بإقليم تافيلالت، واستولوا على سلجماسة، يمتد نفوذهم حتى وادي تنسيفت من بلاد رجراجة[3].

وفي إحدى المعارك قدرليحي بن عمر اللمتوني بأن يستشهد وهو يقاتل قبائل برغواطة في السهل الساحلي، فخلفه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني سنة (448 هـ/ 1056م)، حيث كان عبد الله بن ياسين يمثل القيادة الديني والروحية، فيما كان أبو بكر يمثل القيادة العسكرية

1_مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين(448_541هـ/1056_1146م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ:صالح بن قربة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (1422_1423هـ/2001_2002م)، ص6. وينظر: محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص23.

2_لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص228.

3_حسين مؤنس، معالم تاريخ، المرجع السابق، ص185. وأيضا: حمدي عبد المعنم، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص41_42.

والسياسية[1]، وكلا القيادتين واجب وضروري لهذه المهمة، خاصة وأننا نلاحظ أنها قامت على أسس دينية.

في هذه الأثناء ظهرت شخصية عظيمة، ساهمت حنكتها وشجاعتها في قيام دولة المرابطين ليحفظ التاريخ لها ما قدمته في سبيل الإسلام في بلاد المغرب أوالمشرق وهو يوسف بن تاشفين[2] الذي عينه أبو بكر بن عمر قائدا للجيش وأرسله في مهمة لغزو السوس الأقصى، فأخذ في التوسع إلى غاية أغمات التي كانت بقيادة أميرها لقوط بن يوسف المغراوي والتي استوطنها أبو بكر وجعلها مقرا له، وفيها تزوج بزينب النفزاوية الملقبة بالساحرة والتي كان لها الدور البارز في تولي يوسف بن تاشفين قيادة الملك على غرار أبا بكر[3].

لقد جمع أبو بكر بن عمر بين القيادة الروحية والسياسية للمرابطين، وذلك بعد استشهاد عبد الله بن ياسين الجزولي سنة (451 هـ/ 1059م)، لتظهر الضرورة بعد سنوات من الجهاد والتوسع إلى إنشاء قاعدة سياسية و عسكرية للحركة المرابطية، وبعد مشاورة واتفاق قرروا بناء حاضرة مراكش، و أخذ أبو بكر في اختطاطها وشرع الناس في تعميرها [4].

كل هذه الأحداث التي حدثت في المغرب لم تكن بمعزل عن الخلافة في المشرق، فالملاحظ أن المرابطين كانوا على صلة بالخلافة العباسية ويتجلى ذلك من خلال مراسلات أبو

1_محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الاندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص 26. وأيضا: عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة في تاريخ المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت_لبنان، 1991م، ص34.

2_يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن وونمالى، بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه اسمها فاطمة بنت سير بن يحي بن وجاج بن ورتاقطن، ولد سنة 400هـ بالصحراء وتوفي 500هـ، كنيته أبي يعقوب ولقب بأمير المسلمين بعد تصدره ملوك الطوائف ينظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية، 1286هـ، ص136-137. وأيضا: مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدارالبيضاء، 1399هـ/1979م، ص24.

1_حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص43. وأيضا: مجهول، الحلل الموشية، ص 23.

_ حسين مؤنس، معالم تاريخ، ص187. وأيضا : مجهول، الحلل الموشية، ص15_16. 4

بكر للخليفة القائم بالله العباسي؛ يقدم له فيها الطاعة كما يظهر أيضا من خلال عدم اعتراض الخليفة المذكور على يوسف بن تاشفين عندما لقب نفسه بأمير المسلمين و ناصر الدين خاصة بعد نجاحه في بلاد الأندلس[1].

وبعد استقرار الوضع لأبي بكر سنة (463 هـ/ 1070م)، ثارت نزاعات بين القبائل في الصحراء (جدالة ولمتونة)، فسار إلى هناك ليخمدها ويعيد السيطرة على الوضع، خشية تفرقهم، وعمد لقياده الجيش إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين :"فغزا قبائل المغرب قبية قبيلة .."[2] الذي انفرد بالجهاد و توحيد البلاد في الشمال واستطاع جمع كلمتها تحت الراية المرابطية، في حين وجه أبو بكر جهوده إلى الجهاد الاسلامي بالصحراء جنوب المغرب الأقصى[3].

وما إن مضت بضع سنوات حتى قوي أمر يوسف، واشتد عوده، وتمكن من إحكام قبضته على المغرب، ومنذ ذلك الحين بدأ مشواره السياسي وسطع نجمه، وبعودة أبي بكر إلى المغرب انبهر بما حققه يوسف بن تاشفين إنجازات ليتنازل له عن الإمارة، ويعود مباشرة إلى الصحراء لينشر الإسلام[4].

قام يوسف إبان هذه السنوات في بتنظيم الجيش، واستكمال بناء مدينة مراكش، والسهر على تسيير أمورها، بهذا الشكل أخذ المرابطون ينتقلون إلى الطابع السياسي بعد تغلب السلطة الدينية خاصة بعد وفاة عبد الله ابن ياسين[5].

1_حسين مؤنس، سبع وثائق عن دولة المرابطين و أيامهم في الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1420هـ/2000م، ص15_16.

2_ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص138.

3_حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م، ص26. وأيضا: حسين مؤنس، معالم تاريخ، المرجع السابق، ص188.

4_مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص25. وأيضا: مليكة حمدي، المرجع السابق، ص11. وأيضا: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص220_221.

5_ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص138. وأيضا: حسن علي حسن، المرجع السابق، ص27_28. وأيضا: سعدون نصر الله عباس، المرجع السابق، ص40.

ومهما يكن من أمر فقد نجح يوسف بن تاشفين في إخضاع المناطق ، وبسط نفوذه إلى غاية بلاد المغرب الأوسط، ولا جرم في أن المرابطين بما أظهروه من قوة وبسالة امتد نفوذهم إلى غاية بلاد الأندلس، التي حموها من خطر الممالك الإسبانية ومدوا عمرها بعد ذلك قرابة أربعة قرون، ولاسيما في موقعة الزلاقة وما بعدها، وقدر لهم أن ينتشروا فيها ويصبحوا جزءا منها[1].

وقد قوي أمرهم على كل من اعترض طريقهم هناك، وبعد موت يوسف بن تاشفين سنة (500هـ/1106م)، خلفه ابنه علي وواصلوا فتوحاتهم شمالا إلى غاية ظهور دعوة الموحدين[2]، وانقرضت دولتهم كعادة الدهر ما عز دولة إلا وأعقبها بالقهر، و الملك لله وحده لا إله غيره.

رابعا: الموحدون بالمغرب والأندلس:

يرجع نسب الموحدين إلى محمد بن تومرت صاحب الدعوة، ومؤسس الدولة والذي عرف بالمهدي[3]، حفظ القرآن في صغره وحرص على طلب العلم والاجتهاد فيه ، فنشأ بذلك نشأة علميه كان لها أثرها البالغ على تكوين شخصيته فيما بعد.

1_مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، 2005م، ص190_191. أيضا: عبد الله عنان، المرجع السابق، ص26. وأيضا: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص223_227.

2_عبد الكبير بن المجدوب الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ومعه شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن قنفذ القسمطيني، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1417هـ/1996م. ص300.

3_محمد بن تومرت ولد سنة 485هـ بالمغرب الأقصى بمنطقة السوس، يرجع أصله إلى قبيلة هرغة من بطون المصامدة، ويسمى أبوه عبد الله وتومرت، لقب في صغره بأمغر، وهو محمد بن عبد الله بن وجليد ابن بامصال بن حمزة بن عيسى، وذكر بأنه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا بن سفيون بن الكلديس بن خالد. يزعم البعض أنه من سلالة البيت الشريف كما ادعى هو، ويسمى بهذا : محمد بن تومرت بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن علم بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحي بن عطا بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وإنما هذا مجرد ادعاء بل يرجح البعض أنه من المصامدة. لقب نفسه بالفقيه السوسي. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق، ج6، ص301. كما يقول البيذق أنه محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل، بن حمزة، بن عيسا، بن عبيد الله، بن إدريس، بن إدريس بن عبد الله، بن حسن، بن الحسن، بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .ينظر: البيذق أبو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1971م، ص12. وأيضا: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص107. وأيضا: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(ت733هـ)،

رحل إلى المشرق والتقى بكبار العلماء، وسمع من العديد من الشيوخ أمثال أبو بكر الطرطوشي بالإسكندرية، وتشبع هناك من آراء الغزالي[1] وتعمق في دراسة كتبه، كما كان مهتما بأصول الفقه، وعلم الكلام وعقائد الإعتزال، واستفاد من فقه أبي الحسن الأشعري، وبذلك كون عقيدة خاصة به.

رجع محمد بن تومرت إلى بلاد المغرب سنة 510هـ، وكان كلما ينزل بمنطقة يشدد على النهي عن المنكر والحرص على الأمر بالمعروف، دخل بجاية التي كانت تحت حكم العزيز بن المنصور الحمادي، وأخذ في الدعوة بنوع من الشدة والغلظة، وكان قوي الحجة، لكن معاملته أثارت استياء العامة ونقمهم عليه ليخرج منها إلى ملالة ويحتمي بين أهلها[2].

ولعل من اسباب طرده أيضا دعوته لعقائد الأشعرية، والتي أضاف عليها آراء له في الفقه إذ نفى واستبعد جملة مبدأ القياس والإجماع، كما اعتقد ببعض مبادئ الشيعة كقوله بعصمة الإمام، ما أدى بولاة المغرب إلى إخراجه والتآمر عليه في مختلف البقاع التي نزل بها[3].

نهاية الأرب في فنون الأدب، ، تح: عبد المجيد ترحيني، ج29، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، (د.ت)، ص153. وأيضا: شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج2، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/1936م، ص154.

1_اختلفت الروايات في صحة التقائه بالإمام أبي حامد الغزالي، وهناك من يرى أنه لقيه ولازمه ثلاث سنين، ويذكر ابن أبي دينار أنه ما قدم أبو بكر بن العربي من الأندلس لمبايعة عبد المؤمن بن علي (ستأتي ترجمته) سأله عبد المؤمن عما إذا رأى المهدي عند الشيخ أبي حامد الغزالي، فقال:" ما لقيته ولكن سمعت به، فقال له فما كان يقول فيه أبي حامد، قال: كان يقول لابد لهذا البربري أن يكون له شأن". ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.ص 110.107.

2_إبن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص302. وأيضا: جورج ماسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، (د.ط)، مطبعة الإشهار، الإسكندرية، (د.ت)، ص291.

3_ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص303. وأيضا: علي محمود عبد اللطيف الجندي، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، إشراف الأستاذ: محمد عبد الوهاب فضل، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، القاهرة،

ابتنى محمد بن تومرت في ملالة مسجدا و قام يدعوا فيه إلى أن التقى بعبد المؤمن بن علي[1] الذي كان قاصدا طلب العلم، فاستقدمه إليه لإعجابه بعلمه وورعه، ضمه إلى أتباعه الذين وفدوا إليه من مختلف قبائل المغرب وشاركه في مسيرته إلى تلمسان و استمال أهلها، لينتقل بعدها إلى فاس ومكناسة حتى يصل إلى مراكش فيما بعد، وقد تعرض خلال ذلك إلى كثير من العنف والمعارضة[2].

وصل محمد بن تومرت إلى حاضرة المرابطين مراكش والملاحظ أن هذا كان هدفه الذي قدم به من المشرق، ونزل بها سنة 514هـ، وأخذ يلقي درسه إلى أن أخرجوه منها، لينتقل إلى الجبانة ويبتني فيها خيمة، فاستقطب فيها آلافا من الأتباع ، وأخذ يطعن في دولة المرابطين ويدعوهم بالمجسمة الكفار وبعدها في سنة 515هـ أعلن عن إمامته وتمت مبايعته بتينمال[3] .

خشي محمد بن تومرت على حاله بتينمال، وخاف الظهور عليه من أهله فراح يدبر عدة حيل لذلك كما ذكره النويري بقوله :" إنه لما خاف أهل تينمل، نظر إلى أولادهم فرآهم شقرا زرقا، والذي يغلب على الآباء السمرة فقال لهم: مالي أراكم سمر الألوان وأولادكم شقرا زرقا؟ فقالوا: إن أمير المسلمين عده من المماليك الفرنج والروم وإنهم يصعدون إلى هذا الجبل في كل عام مرة، يأخذون مالهم فيه من الأموال المقررة..." فقبح ذلك وعظمه عليهم وأمرهم بأن

1425هـ/2004م، ص154. وقد ألف بن تومرت في الأشعرية كتبا منها المرشدة في التوحيد، كما ألف في الشيعة كتابه أعز ما يطلب .

1_عبد المؤمن بن علي ولد بتاجرة من أعمال تلمسان من بني عائد قبيلة كومية، وهو أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي، كان أبوه نجارا، اجتهد منذ صغره في طلب العلم، بويع بعد المهدي بن تومرت بيعة خاصة سنة 526هـ، ولم يتخلف عنه أحد، لقب بأمير المؤمنين، توفي سنة 558هـ. ينظر: النويري، المصدر السابق، ص153. وأيضا: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص110. وأيضا: البيذق، المصدر السابق، ص13.

2_إبن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص303.

3_إبن أبي دينار، المصدر نفسه، ص108_109.

يقتل كل واحد نزيله، وقام أيضا خشية خروجهم عليه بأن ميز أهل الشر من أهل الخير، وأمر بقتل أهل الشرحتى وصل إلى 70 ألف قتيل بالظنة[1].

أعد محمد بن تومرت العدة لملاقاة المرابطين و الانتقال من مرحلة الدعوة إلى استخدام القوة العسكرية، بحيث قال لأ تباعه: " اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين لدين الله الذين تسموا بالمرابطين فادعوهم إلى إمامة المنكر وإحياء المعروف، وإزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم فإن أجابوكم فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم"[2].

وفي سنة 524هـ قاد عبد المؤمن بن علي جيشا لمحاربة المرابطين بقوه 40 ألف، واتجهوا لمحاصرة مراكش، وكان بها علي بن يوسف المرابطي فقوي القتال واشتد بين الطرفين، ثم انزوى الجيش الموحدي إلى مكان يدعونه بالبحيرة وانهزموا هزيمة نكراء، توفي بعدها محمد بن تومرت من نفس السنة، إثر مرض أمكنه بعد الحصار، و أمر بتسليم الأمر بعده إلى عبد المؤمن بن علي[3].

واصل عبد المؤمن بن علي محاربة المرابطين، واستولى على العديد من المناطق، التي كانت بأيديهم منها وهران و فاس سنة 540هـ، ليصل إلى عاصمة الدولة المرابطية وتمكن من فتحها سنة (541هـ/ 1147م)، مستغلا ضعفهم وتخبطهم في صراعاتهم سواء بالمغرب أو الأندلس، وبسقوط مراكش نصب الموحدون أنفسهم حكاما على بلاد المغرب، و أحكموا السيطرة عليه، بحيث شهد خلال هذه الفترة إزدهارا في جميع المجالات ووسع عبد المؤمن نفوذهم بشكل كبير وقوي أمرهم[4].

1_النويري، المصدر السابق، ص156_157.

2_علي محمود الجندي، المرجع السابق، ص157.

3_ النويري، المصدر نفسه، ص158.

4_ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت)، ص766. وأيضا: جورج ماسيه، المرجع السابق، ص288.

وإثر هذا فقد ذاع صيت عبد المؤمن بن علي و سمع به من في المغرب والمشرق وجزيرة الأندلس التي تراجع فيها المد المرابطي وكثرت فيها التحرشات النصرانية ونظرا لهذا التمزق السياسي فقد استنجد أهل الأندلس وأعيانها بعبد المؤمن بن علي وهو الذي أقيمت له الخطبة بمسجد قادش سنة 540هـ فأرسل عبد المؤمن بن علي قواته على رأس أبي إسحاق بن محمد المسوفي إلى الأندلس سنة (543هـ/1148م) ففتحوا مدنا كثيرة وسيطروا على لبلة وباجة وإشبيلية ودان أهل الأندلس جميعهم للموحدين[1].

ولكن لكل ملك له أن يزول وهو ما حدث للموحدين فبانهزامهم في معركة حصن العقاب في بلاد الأندلس سنة(609هـ/ 1212م) لم تقم للموحدين بعدها قائمة، وبدأت الدولة في طور الانحلال والضعف إلى أن انتهى حكمهم بوفاة آخر خلفائهم أبي العباس إدريس الواثق بالله الملقب بأبي دبوس سنة(665هـ/1266م).

1_ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، تح. مر: ج.س كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج2، ط2، دار الثقافة، بيروت_لبنان، 1983م ، ص34_36.

الفصل الأول:

إشبيلية ومراكش
"نبذة تاريخية ونظرة على التركيبة الإجتماعية"

المبحث الأول :التعريف بحاضرة إشبيلية

المبحث الثاني :التعريف بحاضرة مراكش

المبحث الأول : التعريف بحاضرة إشبيلية

المطلب الأول: نظرة جغرافية ولمحة تاريخية

أولا : الموقع الجغرافي ومميزاته

تقع إشبيلية على ضفاف شاطئ الوادي الكبير الهابط إليها من مدينة قرطبة[1]، تقع غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف[2]، في وصفها يقول الزهري: "أسفل قرطبة، على الوادي الكبير عروس مدائن الأندلس وهي مدينة إشبيلية، وإنما قيل لها عروس مدن الأندلس لأن عليها تاج الشرف وفي وسطها وعنقها سمط (لؤلؤ) النهر الأعظم وليس في معمور الأرض أتم حسنا منه، وذلك أنه يضاهي الدجلة والفرات والنيل و وادي الأردن بالشام في الحسن والجمال"، لقد كانت إشبيلية مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وبيع وشراء وأهلها مياسير وجل تجاراتهم بالزيت[3]، وأهل إشبيلية فيهم حلاوة وظرف ورفاعة ووقاحة وبراعة، ولهذه المدينة كثير من الجنات والبساتين والرياضات على ضفة هذا النهر، لذلك كانت قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عباد و يقال أنها كانت فيما سلف، قاعدة ملك الروم وبها كان كرسيهم الأعظم[4].

كذلك يقال إن هذه المدينة أي إشبيلية قد بناها اليونانيون، ويقال أبضا أنها من بنيان القوط[5].

1_أبو محمد الرشاطي وابن خراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تق و تح: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا،(د.ط)،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م، ص102.

2_ ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج 1، (د.ط)، دار صادر، بيروت-لبنان، 1397ه/1977م، ص 195 .

3_الشريف الادرسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج1، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422ه/2002م، ص 541.

4_ الحموي، المصدر نفسه، ص195.

5_أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة_مصر، (د.ت)، ص 88.

هذه هي مدينة إشبيلية جارة الوادي الكبير أعادها الله إلى دار الإسلام ذات الهواء المعتدل والمباني الحسان، في حسنها قيل لرجل رأى مصر والشام: أيهما أحسن، أهاذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل اشبيلية: شرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا تمساح .[1]

فبكل ما سبق ذكره تكون اشبيلية قد جمعت مقومات ومميزات عديدة ما بين الطبيعية والبشرية فكانت بذلك كله مؤهلة لتكون مركزا أساسيا ومهما سياسيا وحضاريا على شريط الأحداث التاريخية في الأندلس والمغرب فيما بعد.

ثانيا : تسميتها وبناؤها

إشبيلة: بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام وياء خفيفة[2]، والملاحظ من الاسم أنه أعجمي أو بالأحرى اسم لاتيني، واختلفت الروايات في أصل تسميتها، فيقول العارفون باللسان اللاتيني أن أصل تسمية اشبيلية من كلمة إشبالي ومعناه المدينة المنبسطة[3]، ويقال أيضا إن الذي بنى اشبيلية اسمه يوليش، ذلك أنه لما دخلها أعجب بساحاتها وطيب أرضها وجبلها المعرف بالشرف فردم على النهر الأعظم مكانا وبنى عليه المدينة وعززها بالأسوار، وجعلها أم قواعد الأندلس في ذلك الزمان، واشتق لها اسمها من اسمه واسم رومية، فسماها رومية يوليش[4].

وفي نفس السياق يذكر صاحب الحلل السندسية أن الذي بنى اشبيلية هو أشبان بن طيطش[5] ومن اسمه أطلق على الأندلس اسم إشبانية، هذا الأخير الذي كان اسما خالصا لبلد

1_شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، المطبعة الرحمانية، المغرب، 1355هـ/1936م، ص197.

2_ الحموي، المصدر السابق، ص195.

3_محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، 1984م، ص57.

4_المقري، المصدر السابق، ج1، ص157.

5_إشبان بن طيطش: ملك لعجم رومة غزا بلاد الأندلس وبنى اشبيلية عندما عندما أغار على أهل إفريقية الذين تحصنوا بطالقة، كما غزا بيت المقدس وخبرها وقتل أهلها، وبه يقترن اسم اشبيلية تقول الروايات. ينظر: شهاب الدين أحمد

اشبيلية حيث كان ينزل إشبان هذا، وكان بناؤه لها كقاعدة له في قتاله للأفارقة بقاعدتهم طالقة[1]، فتغلب عليهم ودانت له المدينة بمن فيها، فهدمها ونقل رخامها وآلاتها إلي مدينة إشبيلية، فأتم بناءها واتخذها دارا لمملكته وهو الذي كان له سلطان واسع في الأرض[2]، وقد عرف عن الأعاجم قديما أن سكناهم كان لا يحيد عن أربع من أقطار الأندلس: إشبيلية، وقرطبة، وقرمونة، وطليطلة[3]، هذا إن دل فإنما يدل على عظمة هذه المدن وخصائصها القيادية.

وقد كان للمسلمين أثر في بناء إشبيلية من خلال السور الذي بناه عبد الرحمن بن الحكم، إضافة لبنائه جامعها الذ نال إعجاب المؤرخين خصوصا صومعته البديعة البنيان ذات الأركان الأربعة[4]، ويرجع سبب بناء السور أنه بعدما استبيحت إشبيلية من طرف النورمان سنة 230هـ وذلك لغياب التحصين جهة الوادي، فكانت نصيحة الفقيه عبد الملك بن حبيب لعبد الرحمن بقوله: " حقن دماء المسلمين –أيدك الله وأعلى يدك– بابتناء السور أحق وأولى..."[5] حتى يتم تحصين المدينة جيدا فتحفظ الأموال والأنفس .

فكما جذبت إشبيلية الأعاجم وفرضت نفسها عليهم، كان ذلك مع المسلمين أيضا، فقد كانت أول عاصمة للأندلس الإسلامي، وفيها أقام موسى بن نصير وابنه عبد العزيز، وهي كانت آخر عاصمة للأندلس على أيام الموحدين قبل سقوط البلاد في أيدي الإسبان[6]، فهذا يدل على القيمة والعظمة التي أولاها المسلمون لهذه المدينة.

بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تح: عبد المجيد ترحيني، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، (د.ت)، ص22.

1_طالقة: مدينة بالأندلس بقرب إشبيلية هي من المدن القديمة وكانت دار مملكة الأفارقة بالأندلس. ينظر: إبن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص146.

2_شكيب ارسلان، المرجع السابق، ص 168-169.

3_المقري، المصدر السابق، ص157.

4_الحميري، المصدر السابق، ص 58_59.

5_شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 8، ص260.

6_حسين مؤنس، رحلة الأندلس، المرجع السابق، ص114.

ثالثا :الفتح الإسلامي

بعد ما تم لموسى بن نصير فتح بلاد المغرب، ظهرت إليه حاجة ملحة لمد الإسلام في غرب أوروبا، بداية بفتح بلاد الأندلس، فأرسل طارق بن زياد في جيش عبر به إلى الضفة الأخرى حوالي سنة (92 هـ/711 م) ونزل بجبل يسمى قلب calpe سمي في ما بعد بجبل طارق، ففتح الله على يديه عددا من المدن والقرى، رغم ما تلقاه من المقاومة والتصدي خصوصا ما أعده لذريق صاحب الأمر والذي خرج إليه في جيش قدر بمائه ألف، وكان طارق حينها في مسيرته قاصدا إشبيلية، إلا أنه بعد سماعه بخروج الجيش النصراني لسد طريقه تريث وتقدم غربا إلى غاية بحيرة الخندق[1] وكان قد أرسل إلى موسى بن نصير يستمده العدد والعدة ويبشره بما فتح الله على يديه، فأرسل إليه بالمدد[2]، و دارت بينهما معركة حاسمة في المنطقة المحصورة بين جبل طارق ومجرى نهر برباط بحيرة الخندق والتي تمتد إلى مدينة شذونة شمالا وكانت هذه المعركة قد قضت على المقاومه القوطية وفتحت الطريق إلى عاصمة القوط، وهو ما تجلى في غياب المقاومة أمام المسلمين.[3]

ورغم تعليمات موسى بن نصير إلى طارق والتي تقضي بعودته إلا أنه لاحظ أن مهمته لم تكتمل بعد، وأن عليه الاستيلاء على عاصمة القوط، ولا سيما أن أبناء غيطشة وأنصارهم والكونت يوليان ومن معه كانوا يدفعونه إلى إتمام الفتح لسخطهم على لذريق[4]، ومنه قول يوليان: " إن الملك قد هلك والأمراء تفرقوا، والجنود تبددوا، والشعب في وجل عظيم، فأرسل

1_حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص18. وأيضا: خليل إبراهيم وعليل زركود، فتح العرب المسلمين لبلاد الأندلس (91_96هـ/710_715م)، مج4، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 13، ص12.

2_ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص268.

3_ نفسه، ص18.

4_نفسه، ص20.

رجالك تحتل مدينة بتيك، واذهب أنت وادخل طليطلة دار الملك ولا تعطهم وقتا فيختاروا لهم ملكا جديدا".[1]

فلما عبر موسى الأندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له: تسل طريق طارق؟ فأبى فقال له الأدلاء: " نحن ندلك على طريق أشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد"، فساروا به إلى مدينة ابن السليم فافتتحها عنوة، ثم سار إلى مدينة قرمونة وهي أحصن مدن الأندلس[2]، ثم تقدم فحاصر إشبيلية لأشهر وبعد مقاومة كبيرة من قبل أهلها فتحها الله عليه في أواخر حزيران سنة (95هـ/713م) وهي من أعظم مدائن الأندلس شأنا وخطبا، وأعجبها بنيانا وآثارا[3].

وبانشغال موسى بحصار ماردة ثار عجم إشبيلية وارتدوا، وقاموا على من كان فيها من المسلمين، فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلا، وعندما بلغ الخبر إلى موسى بن نصير[4]، سير إليها ابنه عبد العزيز فحصرها وملكها عنوة وقتل من بها من أهلها وسار عنها إلى لبلة وباجة فملها ثم عاد إلى إشبيلية[5].

وبعد أن أمر الخليفة موسى بالقدوم إلى المشرق خرج من مدينة لك مستقبلا الفج المعروف بفج موسى وأقبل عليه طارق في الطريق منصرفا من الثغر الأعلى فأرجعه معه ومضيا

1_نجيب زيبب، المرجع السابق، ص67.

2_ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص270 .

3_ابن عذارى، المصدر السابق، ص14. وأيضا: دوزي رينهرت ، المسلمون في الأندلس، الجزء الأول المسيحيون والمولدون، تر.تع: حسن حبشي، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، ص46. وأيضا: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تق: إبراهيم الأنباري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م، ص25.

4_ابن عذارى، المصدر نفسه، ص15.

5_ ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 270.

معا إلى إشبيلية[1]، واستخلف ابنه عبد العزيز وترك معه العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد، وسد الثغور، وجهاد العدو[2].

واتخذ عبد العزيز من إشبيلية مقرا له، وتزوج هناك بامرأة لذريق أيْلَة (أم عاصم) واستمر في ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر إلى أن قتل وخلفه أيوب بن حبيب اللخمي[3].

المطلب الثاني: عناصر المجتمع الإشبيلي

على عكس العدوة المغربية التي كانت ترتكز على مكونين أساسين وكبيرين في تركيبتها الاجتماعية، كانت بلاد الأندلس بصفة عامة وحاضرة إشبيلية بصفة خاصة تحتوي على نسيج اجتماعي متعدد العرقيات نظرا للموقع الجغرافي والمميزات الطبيعية التي ساهمت في استقطاب مختلف الأجناس كذلك حركة التاريخ وتعاقب الحضارات والممالك إضافة إلى الإسلام الذي استقر بهته البلاد وشجع بقيمه التسامحية والتعايشية في صقل هذه التركيبة المتنوعة تحت انتماء واحد وهو الوطن ووفق نظم وقوانين المسلمين .

أولا: العرب:

مثل العرب العنصر المسيطر على أحداث التاريخ الأندلسي منذ الفتح الإسلامي له، إذ قدموا إليها بشكل متتابع و بكثافة، لاسيما بعد ما علموا عنها بأنها كثيرة الفضل والنعم ويذكر ذلك المقري بقوله: "لما استقر أهل الإسلام بالأندلس، و تتام فتوحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوا أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان "[4].

1_نجيب زيبب، المرجع السابق، ص 71.

2_أبي عبد الله محمد بن فتوح بن الله الحميدي (ت488هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح.تع: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 1429هـ/2008م، ص23-24.

3_نجيب زيبب، المرجع نفسه، ص 79.

4_المقري، المصدر السابق، ص290.

وكانت أولى الطلائع العربية بالأندلس بقيادة طارق بن زياد[1]، ولكنهم كانوا قلة، لتتبع بطالعة موسى بن نصير والتي ضمت الكثير منهم، وأكثرهم من اليمانية[2]، كما قدم بعضهم أيضا مع الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي لتشهد الأندلس طالعة شامية[3] بقيادة بلج بن بشر القشيري والتي قارب عددها عشرة آلاف، كان قد أرسلهم الخليفة مع كلثوم بن عياض القشيري إلى إفريقية لإخماد ثورة البربر هناك[4]، وكان مجيئهم إلى الأندلس باستغاثة من قبل الوالي عبد الملك بن قطن[5]، ألا أنهم استقبلوا بنوع من النفور من قبل العرب الأوائل الذين سموا أنفسهم بالبلديين – أي أصحاب البلد – ويرجع ذلك إلى أسباب تاريخية قديمة.[6]

كما شهدت الأندلس طالعة أخرى مع الوالي أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، ليزداد عددهم أكثر فأكثر بعد تزاوجهم و انصهارهم مع أهل البلد، و كمثال على ذلك نسل عبد

1_اختلف حول نسبه فهناك من يقول أنه من أصل عربي، والبعض يرى بأنه فارسي الأصل، في حين يورده ابن عذاري في جملة البربر فيقول: "طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو".ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص5.

2_وهم من القحطانية من ولد إسماعيل أو من ولد نوح وكانوا كثر بالأندلس و الملك فيهم أرسخ، قدم أغلبهم مع طارق وموسى بن نصير، ينظر: المقري، المصدر نفسه، ص293.

3_وهم من قبائل العرب في بلد الشام، قدموا إلى الأندلس مع بلج بن بشر وكانت بينهم و بين اليمانية حروب طوال.

4_عند اشتداد أوار الثورة البربرية أرسل الخليفة جيشا ضخما بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، ولكن راح معظمهم في معركة بقدورة، والباقية الناجية انزووا إلى سبتة ومنها إلى الأندلس بقيادة بلج بن بشر وحدثت بينهم وبين البلديين صراعات كثيرة بسبب رفض البلديين تقاسم أراضيهم معهم. ينظر: السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت–لبنان، (د.ت)، ص ص64،73.

5_وذلك بسبب ثورة البربر في شمال الأندلس، والتي عجز عن إخمادها عبد الملك، فاضطر إلى الاستغاثة بهم رغم الأحقاد الكبيرة بين الطرفين.

6_منها موقعة الحرة سنة 63هـ، والتي نكل فيها بالحجازيين أيما تنكيل و كذلك موقعة مرج راهط التي مثلت تجسيد الصراع القيسي اليماني وانتقاله إلى كافة الولايات الإسلامية، وكلتاهما أبيحت فيها دماء الحجازيين الذين فروا إلى المغرب والأندلس. ينظر بالتفصيل: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تح: الشيري علي، ج2، ط1، مؤسسة آل البيت، مطبعة أمير، بيروت، 1413هـ، ص5. وأيضا: الخطيب التبريزي (ت502)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام= =ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، 1421هـ/2000م، ص . وأيضا: الصلابي محمد علي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت_لبنان، 1429هـ/2008م، ص 580.

الرحمن الداخل الذي وصل فيما بعد إلى ألف وأربعمائة وواحد وأربعون ذكرا دون الإناث، إضافة إلى العدد الذي تكون عن طريق الولاء[1] لبني أمية بالأندلس.

كذلك قدمت موجة مع الأمويين و أنصارهم خلال فترة تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس بقيادة عبد الرحمن الداخل، نظرا لاضطهاد العباسيين لهم، وتتابع هذا الاندفاع إليها من مختلف القبائل قيسهم و يمنهم و استقروا بها إضافة إلى ذلك العدد من الصحابة أمثال المنذر الأسلمي و بعض التابعين أمثال أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد المعافري الأنصاري[2].

لقد استقر العرب في نواحي متفرقة على حسب خط سير الفتوحات الإسلامية، فكانوا بمجرد فتح منطقة تستوطن بها حامية و تستقر هناك[3]، وقد نزل بإشبيلية الكثير من البلديين، وهو ما يذكره المقري بقوله: " فأما العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش وأما بنو هاشم من قريش فمنهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد انتثار ملك بني أمية، وأما بنو زهرة فمنهم بإشبيلية أعيان متميزون... كما استوطن إشبيلية أيضا هوازن بن عكرمة من قيس وكانوا كثر بها، واستقر بها أيضا بنو بكر بن هوازن[4].

وقد ميز العنصر العربي في كثير من الأحيان تلك النعرات و التعصب للقبيلة و هو حال القيسيين و اليمنيين، ولكن ما لبثت هذه النزاعات و الالتحام بآصرة النسب أن تدوم بعد قرون من الحروب حتى بدأ أولئك العرب يتناسون شيئا فشيئا أصولهم الشرقية ويتغاضون عن

1_حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية، ط1، دار الرشاد، (د.ت)، ص.ص290.297. و أيضا: اشتيوي أشرف يعقوب، الأندلس في عصر الولاة 91_138هـ/711_756م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، نابلس-فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، ص177.

2_حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138_422هـ/755_1030م)، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، 1414هـ/1994م، ص15-16.

3_السامرائي، المرجع السابق، ص64.

4_المقري، المصدر السابق، ج1، ص290_291.

تلك الطبيعة البدوية، ولاسيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي قضى تدريجيا على آخر الميول إلى العصيان الذي كان يترأسه الزعماء العرب، وهكذا أضحى العرب يميلون إلى الطبيعة الإسبانية بعيدا عن التفاخر بالأنساب هذا بلدي و هذا شامي.

ليتجه العرب بعدها إلى الالتحام بأوطانهم وأماكن استقرارهم كالمدينة و القرية و الناحية، فيلقب هذا بالقرطبي، ويعرف ذاك بالاشبيلي ...الخ[1]، وإن دل هذا فإنما يدل على تطور ذهنية العرب وخروجها من نطاق البداوة الذي كان يعتريها منذ زمن بعيد، والاستغناء عن العصبية إنما هو بسبب الاستقرار و توطيد الأركان الحضارية مثلما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته، فإذا انتقلت الرياسة إلى الحضارة فإنها تستغني عن التعصب أو العصبية بصفة عامة[2].

ونتيجة للانصهار الذي حدث بين العرب و السكان الأصليين؛ فقد أصبح الدم العربي يجري في عروق السكان حتى أنهم أصبحوا إسبانا أو أندلسيين وهذا التناسي للأصل المشرقي كان فيما بين العامة من العرب، في حين بقي الحكام متشبثين به بقوة وصرامة[3].

ثانيا: البربر:

كان البربر[4]عنصرا بارزا في المجتمع الأندلسي منذ فتحها إلى غاية سقوطها، كما لا ينكر فضلهم في بناء حضارتها والنهوض بها[1]، فهم أسبق العناصر البشرية التي دخلت إلى الأندلس،

1_عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطي ومستهل الموحدين عصر ملوك الطوائف الثاني 510_546هـ/1116_1151م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م، ص247-248.

2_عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ)، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى العبر و العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1421هـ/2001م، ص193-194.

3_دندش، المرجع نفسه، ص249.

4_هناك اختلاف كبير حول نسبهم و أصلهم هل هم من العرب أم جنس أوروبي أم أنهم هم السكان الأصليين لبلاد المغرب؟ ويذكر صاحب مفاخر البربر نقلا عن ابن حزم صاحب الجمهرة نسبهم فيقول أنهم :"من ولد حام بن نوح عليه السلام، و ادعت طوائف منهم أنهم من اليمن ومن حمير وبعضهم ينسبهم إلى بر بن قيس غيلان. وهذا كله

حيث كان الجيش الفاتح لها بقيادة واحد منهم وهو طارق بن زياد، كما أن معظم الجيش كان منهم حيث كانوا في سبعة آلاف في البداية، ثم ما لبثوا أن ازدادوا بعد ذلك إلى اثني عشر ألفا[2]، ويمكن أن نميز في العنصر البربري بالأندلس بين ثلاث فئات:

الفئة الأولى: دخلت في أول الفتح وفد اندمجت شيئا فشيئا في المجتمع الأندلسي، وأسهمت كعنصر كبير العدد في ازدهارها وبنائها.

الفئة الثانية: تتكون من البربر الذين استقدمهم الحاجب المنصور بن أبي عامر وأصبحوا فيما بعد عماد جيشه، كانت له وهؤلاء آثار مهمة في الجهاد بسيوفهم، إلا أنهم لم يندمجوا في المجتمع الأندلسي فظلوا متميزين بالزي والشارة واللغة، وكان الأندلسيون يبغضونهم بشدة.

الفئة الثالثة: وهم الذين تم استدعاؤهم من قبل أهل الأندلس وهم صنهاجة المرابطين وكانت وجهة نظر الجانب الأندلسي هي الاستعانة بهم للوقوف في وجه ألفونسو وأطماعه، وبدخول المرابطين إلى الأندلس تعزز عنصر البربر الموجود به[3]، والذي كان منتشرا في المدن والأقاليم يقومون بأعمال التجارة والزراعة أو الصناعة .

ويبدو أن قبائل الملثمين كانوا يعيشون بمعزل عن المجتمع الأندلسي في عاداتهم وتقاليدهم أول الأمر، وكانوا يحظون بمنزلة جليلة عند الأندلسيين لكن سرعان ما هبت نيران الحقد بين الفريقين بعد زوال خطر النصارى وبدخول الموحدين إلى الأندلس تعزز العنصر البربري خصوصا من قبائل مصمودة وإن ظلوا هم أيضا متقوقعين عن أنفسهم، على العكس من

باطل لا شك فيه، وما علم النسابون لقيس غيلان ابنا اسمه بر أصلا". ينظر: مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص190.

1_حسن دويدار، المرجع السابق، ص28.

2_المقري، المصدر السابق، ص254.

3_دندش، المرجع السابق، ص260_261.

العناصر الأخرى التي تمازجت وانصهرت فيما بينها حتى أنه يصعب التفريق فيما بينها، لينشأ جيل آخر وهو الجيل الأندلسي[1].

وأما عن استقرارهم في الأندلس فقد كان بصفة خاصة في المناطق الجنوبية والغربية من الأندلس نظرا لشبهها ببيئتهم في المغرب، وقد كانوا هم أيضا يمثلون عصبيات متناحرة، إذ ذكر ابن خلدون أنهم انقسموا مثلهم في ذلك مثل العرب إلى بتر وبرانس، فأما البتر فينسبون إلى ماذغيس بن بر الملقب بالأبتر قسموا بالبتر، وأما البرانس فهم من ولد برنس بن بر وسميوا البرانس نسبة إليه[2].

وكلا القسمين كان لهم أثر في بلاد الأندلس، فمن البتر هناك: مطغرة مديونة، مكناسة، هوارة...الخ، وأغلبهم كان في جيش طارق بن زياد انتشروا في مناطق متعددة من أقصى الشمال الشرقي والشمال والغرب والوسط والجنوب الشرقي والغربي إلى غاية نواحي طليطلة[3]. ومن البرانس فهناك: بني فرج، بني سالم، بني عوسجة، بنو دليم الفقهاء من وزداجة وغيرهم كثر[4].

وأما عن تواجدهم في إشبيلية فقد ميزه نوع من التنافر مع سكانها إذ كان أهل إشبيلية يكرهون البربر ويصدونهم في غالب الأحيان[5]، على غرار نبذهم في المجتمعات الأخرى من الأندلس وهو ما تترجمه كثرة ثوراتهم.

ثالثا: الموالي:

1_ دندش، المرجع السابق، ص263.

2_للتفصيل ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص116 وما بعدها. وأيضا: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح.تع: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص495 وما بعدها.

3_دويدار، المرجع السابق، ص36.

4_ابن حزم، المصدر السابق، ص498_499.

5_ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص134-135 ص144.

لقد لعب الموالي دورا هاما في تاريخ الأندلس، بحيث اعتمد عليهم بنو أمية كثيرا وقلدوهم المناصب في دولتهم لتفانيهم في الإخلاص لها، فكان منهم الوزراء و الكتاب و القواد و القضاة[1]، وازدادت أعدادهم بشكل ملحوظ إذ كان لهم فضل كبير في قيام الدولة الأموية فيما بعد.

وهم من موالي المشرق و الأغلبية من أهل المغرب، وكان ولاؤهم في بادئ الأمر لبني أمية في المشرق ولما قامت لبني أمية دولتهم في الأندلس أصبحوا موالين لهم أيضا، فارتبطوا برابطة الولاء أكثر من العصبية، وكانوا في غالبيتهم من الشاميين[2]، الذين قدموا مع بلج بن بشر حيث يعدهم ابن القوطية في: "عشرة آلاف من الأمويين والشاميين منهم ألفين من الموالي"[3] وكان هذا كظهور فعلي لهم إذ كانوا أفرادا متفرقين فقط، وصنفوا في أنواع وطبقات منهم موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالي عثمان بن عفان رضي الله عنه، وموالي خلفاء بني أمية[4].

ومنهم بالأندلس بنو وانسوس، بنو الخليع، بنو قسي، على أن هؤلاء الأخيرين كانوا من موالي الاصطناع من الإسبان الذين أسلموا وساندوا المسلمين وخضعوا لهم[5]، وقد استطاع عبد الرحمن الداخل بفضل مناصرة هؤلاء الموالي تأسيس دولة بني أمية في الأندلس بعد أن سقطت في المشرق على يد العباسيين، ومنهم بنو بسيل وهم بيت من أكبر بيوتات الموالي الأمويين من أهل الشام، وكان أول من دخل الأندلس منهم عبد السلام بن بسيل الرومي وكان أبوه بسيل مولى بني أمية، وقد دخل عبد السلام الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل مع ابنيه عبد الواحد ويحي فاستعمله عبد الرحمن على إشبيلية والجزيرة الخضراء أيضا[6].

1_دويدار، المرجع السابق، ص32.

2_دويدار، المرجع نفسه، ص36.

3_ابن القوطية (ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د.ت)، ص15.

4_حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص325. وأيضا: المقري، المصدر السابق، ص254.

5_دويدار، المرجع نفسه، ص36 .

6_دويدار، المرجع السابق، ص30. ص33.

رابعا: أهل الذمة:

الذمة لغة تعني العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة[1]، أما اصطلاحا فيقصد بها غير المسلمين ممن يلتزمون بأداء الجزية ولهؤلاء ذمة مؤبدة بمقتضى التزامهم بأحكام القانون الإسلامي، والذميين هم أهل الكتاب من النصارى واليهود ومن لهم شبهة بأهل الكتاب من المجوس، ومثل هذا العنصر الغالبية العظمى من سكان الأندلس بالإجمال، وكان بينهم وبين المسلمين علاقات وطيدة، وهم عنصران: النصارى و اليهود.

أ/ **النصارى:**

أهل البلد سكنوا بالأندلس قبل الفتح الإسلامي بزمن طويل، ولعبوا دورا هاما بعد الفتح الإسلامي، و كان استقرارهم في القواعد الكبرى في الأندلس ولا سيما في إشبيلية، على أن المجتمع النصراني كان مجتمعا طبقيا عمل الإسلام على محاربته وبذلك عاشت النصرانية في ظل الحكم الإسلامي أزهى مراحلها مقارنة مع ما قضوه في ظل الحكم القوطي و الروماني[2].

وهناك من النصارى من بقي على نصرانيته، وهناك من أستعرب لغة وثقافة، وهؤلاء سميوا بالمستعربين، احتفظوا بكل خصوصياتهم مقابل مسالمتهم للمسلمين[3]، وقد طبق معهم المسلمون سياسة التسامح والتعايش جنبا إلى جنب، فتركوا لهم كنائسهم، ماعدا الكنائس التي تقاسموها معهم لإقامة المساجد بها مثل مسجد ربينه[4]، ويقول دوزي في هذا: " لم تكن حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي ما يدعو إلى الشكوى بالنسبة لما كانت عليه قبل الفتح"[5].

1_ابن منظور، لسان العرب، تح.مر: عامر أحمد حيدر عبد المنعم خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص258.

2_شحلان أحمد، التراث العبري في المغرب الإسلامي التسامح الحق، ط1، دار أبي رقراق للطباعة، الرباط_المملكة المغربية، 2006م، ص15-16.

3_حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص342 ص357.

4_ابن القوطية، المصدر السابق، ص37. وأيضا: رينهرت دوزي، المرجع السابق،47-48.

5_عبد الله عنان، المرجع السابق، ص63-64.

وكان لهم أديرتهم مثل دير أملاط في الطريق بين قرطبة وإشبيلية ودير سان خوان دي لابينا الذي أقامه الراهبان فوتو و فيليكس في عهد عقبة بن الحجاج السلولي شمال إسبانيا، وكانت إشبيلية في العصر الأموي مركزا أسقفيا هاما ، وكان أول من تولى رئاسة أسقفية إشبيلية المطران المند بن غيطشة[1].

وقد تمتع النصارى بمعاملة حسنة حددتها الشريعة الإسلامية، فمنحوهم كل حقوقهم مادامت لم تتقاطع مع الخطوط الشرعية للشريعة الإسلامية[2] ولكن بعد مجيء المرابطين حاولوا الحد من هذا، فمنعوا قرع النواقيس، وألزموهم بارتداء ثياب معينة ليتميزوا عن المسلمين، وألا يركب منهم فرس وألا يشتري مسلم منهم رداءا ارتدوه، ويبدوا أن ذلك كان نتيجة حركة الغزو المسيحي[3].

ب/ **اليهود:**

استقر اليهود في شبه الجزيرة الإيبيرية منذ زمن بعيد، ونتيجة لاحتكارهم للثروة و الصنائع فإنه قد تولد تجاههم حقد كبير من قبل المسيحيين، الذين ما لبثوا يضطهدونهم محافظة على مصالحهم، وذلك بمجرد اعتلاء قسطنطين الكرسي الإمبراطوري فجردهم من وظائفهم و حرمهم من عدة مزايا لصالحهم[4].

ولما استقر الإسلام بأرض الأندلس تخلصوا من الكثير من عمليات الاضطهاد، بل أنهم ساندوا و قدموا خدمات كثيرة إلى المسلمين، لا لشيء فقط للقضاء على الحكم القوطي الذي

1_دويدار، المرجع السابق، ص38.

2_حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص356-357.

3_دويدار، المرجع نفسه، ص39.

4_هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن اليهود المارنواس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية ، 2008م، ص9.

سلبهم حقوقهم وحرياتهم[1]، وفي ظل الحكم الإسلامي عرف اليهود كثيرا من الحرية والاستقلالية سواء القانونية منها أو الإدارية أو العلمية[2].

وأما عن استقرارهم فقد تجمعوا في عدة مدن أهمها إشبيلية، محتكرين بعض المهن والحرف التي تدرعليهم أموالا طائلة كتجارة الرقيق و الخصيان والحرير والتوابل، وبذلك فقد لعبوا الدور الكبير في المجال الاقتصادي وحتى السياسي، لاسيما عهد ملوك الطوائف[3]، إلا أنهم بقوا في بوتقة مغلقة محافظين على هويتهم وخصوصياتهم دون الاختلاط بالعناصر الأخرى على الرغم من تفرقهم في بلدان شتى[4].

خامسا: المسالمة و المولدون:

لقد سمي الإسبان الذين أسلموا وخضعوا للحكم الإسلامي بالمسالمة أو الأسالمة، ونتيجة للتزاوج و الانصهار الذي حدث بينهم و بين المسلمين عربا أو بربرا فإنه نتج جيل آخر أطلق عليه اسم المولدون، الذين نشأوا على الإسلام، وكانو يشكلون الغالبية من السكان ومنهم تكونت جماهير الأندلس وأهل البيوتات منهم[5].

وهكذا فقد انتشر وتفوق الدم الإسباني نتيجة لهذا التزاوج المستمر وأصبح هؤلاء المولدين يتخذون أسماء عربية، في حين أبقى بعضهم على أسمائهم الأجنبية التي عجزوا عن ترجمتها إلى العربية واستعملوها كأسماء عائلية مثل بنو أنجلين، بنو سبريكو في إشبيلية، وبنو قسي .. وغيرهم، إذ كان كثير منهم من أصل قوطي أو إيبيري[6]، ومع أن هؤلاء المولدون كانوا يعتنقون

1_دويدار، المرجع السابق، ص48. وأيضا: هدى دريش، المرجع السابق، ص11_16.

2_حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، تر: شحلان أحمد، ج1، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، 2000م، ص31_32.

3_دويدار، المرجع نفسه، ص49.

4_عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي 22_462هـ/642_1070م، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2001م، ص7.

5_شحلان، المرجع السابق، ص16. وأيضا: دويدار، المرجع السابق ، ص41-43.

6_دندش، المرجع السابق، ص250 ص252.

الإسلام، ويعيشون حياة المسلمين الوافدين على الأندلس إلا أن الكثيرين منهم كانوا يتعصبون لأصولهم الإسبانية الأولى و يتحالفون مع بني جلدتهم العجم أو النصارى ضد العرب و البربر معا.

وكانت إشبيلية معقلا هاما من معاقلهم، حيث كانوا يمثلون أكبر طائفة من سكانها و كانوا يعملون بالإدارة و التجارة وظهر منهم الكثير من الأغنياء[1]، فكانوا أكثر نشاطا ولا سيما في المجال الاقتصادي، وكونوا لأنفسهم مركزا هاما في الأندلس و خصوصا لدى الطبقة الحاكمة وهو ما نستشفه في اعتماد الأمويين عليهم في إخماد تلك النزاعات التي كان يسببها العرب أو البربر[2].

سادسا: الصقالبة:

وهم الذين استجلبوا من الشمال ضمن أسرى الجرمان في حروبهم مع السلافيين[3] ويعرفون أيضا بالفتيان، والخلفاء والخرس، والخصيان والمجابيب، وهي نعوت تتردد كثيرا في المصادر الأندلسية، أما تسميتهم بالخلفاء فلأن هذه التسمية كانت تطلق على أكابرهم، وأما تسميتهم بالخرس فلأنهم لم يكونوا يعرفون لغة البلاد في بداية أمرهم فكانوا أشبه بالخرس وهناك من يسميهم بأرستقراطية العبيد .

وجاء أغلب الصقالبة أطفالا من الجنسين إلى الأندلس، حيث تطور الأمر إلى استخدامهم في الحرس والحاشية والجيش، فأخذت أعدادهم تزداد بسرعة ومع أنهم كانوا لا يقارنون من حيث العدد مع المجتمع الأندلسي الكبير، إلا أن نفوذهم فيه كان كبيرا جدا بسبب تقريب الخلفاء لهم وثقتهم بهم.

1_دويدار، المرجع السابق، ص44.

2_دندش، المرجع السابق، ص251.

3_شحلان، المرجع السابق، ص14.

وكان هؤلاء الصقالبة غير منسجمين مع بقية عناصر المجتمع الأندلسي الأخرى، واستكثر الخلفاء الأمويين منهم، ولكن عمل الحاجب المنصور على كسر شوكتهم، إلا أنه وبعد أن استبعد الموالي المخلصين للأمويين، عاد فكون طائفة جديدة عرفت بالفتيان العامريين و كون هؤلاء الفتيان في عصر ملوك الطوائف إمارات معروفة في شرق الأندلس، ولم يكن الصقالبة أهل عسكرية وخدمة في البلاطات فحسب، بل كان منهم بعض العلماء الأعلام[1].

سابعا: النورمان (الفايكنغ):

ظهر النورمان على مسرح الأحداث منذ عهد عبد الرحمن الأوسط بغاراتهم على شواطئ الأندلس، وكان موطنهم الأصلي في المناطق المحيطة بالبحر البلطي (بحر البلطيق)، وقد انقسموا إلى ثلاث مجموعات (السويديون النرويجيون، والدانمركيون)، وكانت بداية غاراتهم على الأندلس في سنة (229هـ/844م)، كانوا يتميزون بتحركاتهم السريعة الخاطفة، وقد استطاعوا في أولى غاراتهم هذه التي استمرت أكثر من ثلاثة شهور أن يحتلوا مدينة إشبيلية عدة أيام[2]، واستطاع الأسطول الأندلسي ردهم، غير أن عددا كبيرا منهم لم يتمكنوا من اللحاق بإخوانهم أثناء الانسحاب، فوقعوا أسرى في يد المسلمين، فخيروهم بين الإسلام أو القتل فقبلوا الإسلام وسكنوا ضواحي إشبيلية واختلطوا بأهلها، واشتغلوا بالزراعة وتربية الحيوانات، وصناعة الأجبان –التي اشتهر بها الدنماركيون– وهو ما يذكره المقري في أن: "مدينة شريش وهي بنت إشبيلية ووادیها اختصت بإحسان الصنعة في المجبنات وطيب جبنها معين على ذلك، ويقول أهل الأندلس من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[3].

وكانت غاراتهم قد لفتت الأنظار ونبهت الأذهان إلى ضرورة تحصين سواحل الأندلس وبناء أسطول قوي يستطيع حمايتها من المعتدين ولذلك فقد بدأ عبد الرحمن الأوسط عقب

1_دندش، المرجع السابق، ص258-259.

2_دويدار، المرجع السابق، ص61-62.

3_المقري، المصدر السابق، ص184.

الهجوم الأول مباشرة في تحصين مدينة إشبيلية بأسوار عالية، ولا يبعد أن يكون الذين أقاموا منهم في إشبيلية واستقروا قد ساهموا بخبراتهم في صناعة السفن أو المراكب الجديدة[1].

المبحث الثاني: التعريف بحاضرة مراكش

شهد المغرب أيام المرابطين والموحدين ظهور عدة حواضر والتي برزت بشكل لافت سياسيا و حضاريا، فصارت بذلك قبلة ومزارا للكثير من الوافدين من التجار والرحالة وطلبة العلم، حيث أقاموا ومارسوا مختلف نشاطاتهم مما ساهم في تطور وازدهار هذه المدن وهو ما أذاع صيتها، فكانت أبرزهم في عدوة المغرب مدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين.

المطلب الأول: لمحة وجغرافية وإطلالة تاريخية

أولا: الموقع والوصف

على سهل سفيح في بلاد المغرب الأقصى بعيدة عن الأطلس بنحو أربعة عشر ميلا[2]، تقع مدينة مراكش في منطقة السوس شمال آغمات[3] وعلى اثني عشر ميلا منها بداخل المغرب وليس حولها من الجبال إلا جبل صغير يسمى إيجليز، يقول الحميري: "وليس بموضع مراكش حجر إلا ما كان من هذا الجبل"[4]، وكما يقول صاحب الاستبصار[5] أنها على بعد ثلاثة أميال

1_دويدار، المرجع السابق، ص63-65.

2_الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، تر: محمد حاجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص126.

3_آغمات: توجد بأرض المغرب بقرب وادي درعة وأهل آغمات تجار مياسير يدخلون بلاد السودان بقناطير الأموال من النحاس الملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم وآغمات مدينتان إحداهما تسمى آغمات هيلانة وآغمات وريكة. ينظر: محمد عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص46 .

4_الحميري، نفسه، ص540 .

5_مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، (د.ط)، دار التسوق الثقافية العامة، العراق، 1986م، ص 208-209.

من وادي تنسيفت[1]، منبعه من بلد دمنات[2]، يصب فيه وادي وريكة ووادي نفيس وهي مدينة طيبة التراب ماؤها عذب وقريب من سطح الأرض وبساتينها تسقى من آبار وهي كثيرة الزرع والضرع وحولها الكثير من البساتين والجنان التي يسمونها البحائر.

مراكش مدينة عظيمة تقع في أحسن موقع من جبال الأطلس، وتحيط بها أجود الأقاليم أسسها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، فالمدينة مسورة بأسوار متينة مبنية بالجير والرمل الممزوجة بالتراب ورغم كون المدينة تعرضت للنهب والسرقة مرارا فإنه لا توجد بالسور ولو ثغرة واحدة ويرجع ذلك كون تخطيطها عجيب وكذلك انجازها فهي تحوي أربعة وعشرون باباً[3].

وتوجد من جهة الجنوب قصبة كبيرة تستطيع أن تضم أكثر من ألف دار، مسورة بأسوار متينة وأبراج وخندق ونهر صغير، ليس فيها سوى بابين أحدهما من جهة الجنوب ويفضي إلى البادية والآخر في جهة الشمال نحو المدينة حيث يقيم فيها عادة حرس من جزولة[4].

وعند الدخول من الباب الأول من جانب الوادي نجد مساحة صغيرة فيها عدة مخازن كان الملوك القدامى يخزنون فيها حبوبهم ويقع في الباب الثاني في زقاق مستقيم يفضي إلى ساحة كبيرة فيها جامع عبد المؤمن ملك الموحدين وهو بناء ضخم وجميل من الداخل والخارج.

كما توجد أيضا قرب هذا الجامع مدرسة عتيقة تدعى أيضا مطرقة العلوم، بناها أيضا عبد المؤمن، يلقون فيها مختلف العلوم كالفلك والتنجيم والشريعة الإسلامية.

1_وادي تنسيفت: نهر على ثلاثة أميال من مراكش ليس كبير لكنه دائم الجريان، كان أمير المسلمين علي بن يوسف بنى عليه قنطرة عظيمة متقنة البناء بعد أن جلب لها صناع من الأندلس وهذا النهر منبعه عيون ومياه منبعثة من جبل درن ناحية آغمات وإيلان. ينظر الحميري، السابق، ص 127.

2_مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 208-209.

3_مارمول كاربخال، إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي وآخرون، ط1، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1409هـ/1989م، ص48-49.

4_جزولة: بلاد آهلة بكثير من السكان البربر من قبيلة مصمودة يحدها إقليم درعا شرقا وجبل العلم غربا بإقليم السوس يعتبر سكانها أنهم أقدم شعوب إفريقيا كلها. ينظر: مارمول كاربخال، المرجع نفسه، ج3، ص69.

ومن جهة الشرق حتى القصر العتيق حيث كان يسكن الملوك القدامى هو اليوم البستان الملكي الكثير الأشجار المثمرة الظليلة وفي الجانب الآخر من جهة الغرب يوجد اثنا عشر مخزن للحبوب، كما نجد قصران كبيران يسكنهما المسيحيون المستعربون الذين يستعملهم ملوك مراكش في الحرب، أتى بهم يعقوب المنصور من الأندلس لحراسته الشخصية.

وبعد الساحة الموجودة أمام الجامع من جهة الجنوب هناك باب الطبول وسوق أخرى تباع فيها الأفراح في مختلف الأعياد ويوجد قصر الملك أمامها وبعد الدخول من باب الطبول هناك على اليسار بناءات قديمة مبنية بالجير والرمل متصلة بسور القصبة، كانت في القدم يخزن فيها القمح وكانت هذه أجود مخازن بلاد البربر كلها.

في الجانب الآخر من القصر الملكي بناية أخرى عظيمة على الطراز القديم كانت تستعمل كمدرسة لأبناء الملك وأكابر الأمراء فيها قاعة كبيرة وجميلة مربعة تحيط بها من كل جانب رفوف وخزانات لحفظ الكتب[1].

ومن المباني التي شيدت في مراكش نجد عدة مساجد جميلة قديمة وحديثة ومن أشهرها جامع الكتبيين[2]، واسمه الحقيقي علي بن يوسف لأنه هو من شيده، ويقال أن عبد المؤمن ثاني ملوك الموحدين هدمه ماعدا الصومعة ثم أعاد بناءه، سمك جدرانه اثنا عشر قدما[3]، وقد سمي بهذا الاسم الكتبيين أي جامع الكتاب لأنه تحيط به دكاكين صغيرة يقيم فيها الذين كانوا يسجلون الأعمال التي تنجز فيه ، وفي مراكش مسجد آخر يدعى الجامع الكبير وهو أقدم المساجد فيها بناه يوسف بن تاشفين .

وفي وسط المدينة يوجد حي اليهود قديما في مكان يضم أزيد من ثلاثة آلاف منزل حيث كان اليهود مفصولين عن المسلمين يحيط به أسوار من كل جهاته، كما توجد الساحة الكبيرة

1_كاربخال، المرجع السابق، ص.ص 54.52.

2_جامع الكتبيين: سمي بجامع الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب اللذين كانوا بجانب المسجد. ينظر كاربخال، نفسه، ص 55.

3_القدم: مقدار ثلاثة وثلاثون سنتيمتر. ينظر الحسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص34.

التي وسطها كومة من التراب وفيها يقع إعدام الأشرار، كما تحوي هذه الساحة عدة دكاكين لصناعة الأقفال والاسكافيين والنجارين والتجار الذين يبيعون أشياء صالحة للأكل وفي الجانب الآخر يباع الحرير وأقمشة الكتان والقطن والصوف.

أما عن الحياة الاجتماعية لدى السكان فسكان مراكش متكبرون يتباهون بالشجاعة وبأنهم ألد أعداء المسيحيين يتكلمون بلغة البربر ويرتدون جبات ولهم قمصان وسراويل من قماش أبيض[1].

أما نسائها متحضرات أنيقات يمشين وهن متزينات بعدد من الأساور وفيما يخص معاملة السكان فيما بينهم فتتم بالحسنى وينفقون على مأكلهم ومشربهم أكثر من أهل سوس[2].

ثانيا: تأسيس وتطور مراكش

لقد تعددت الروايات التاريخية حول سنة بناء مراكش وهوية مؤسسها حيث يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "واختط يوسف مدينة مراكش سنة أربع وخمسين.." بعد أن اشترى أرضها من أهل آغمات[3].

أما صاحب الاستبصار فيقول عنها: " أسسها يوسف بن تاشفين سنة (459هـ/ 1067م)".[4]

في حين يتفق ابن عذارى المراكشي مع صاحب الحلل الموشية على سنة (462هـ/1070م)[5] أما ياقوت الحموي يرجع تأسيسها إلى سنة (470هـ/ 1077م)[6]، في

1_مارمول كاربخال، المرجع السابق، ج3، ص57.

2_سوس: تبدأ غربا من المحيط وتنتهي جنوبا في رمال الصحراء وشمالا في الأطلس عند حدود حاحا وشرقا عند نهر سوس الذي سميت به الناحية. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص133.

3_عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ط1، بيت الأفكار الدولية، الرياض–السعودية، (د.ت)، ص 1646.

4_مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص208.

5_مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص15.

6_ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص94.

المقابل هناك من يرجع فكرة تأسيس مراكش ومباشرة بنائها إلى إبن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني استنادا للبكري و كتابه المسالك والممالك والذي ذكر أن أمر المرابطين سنة أربعمائة وستين كان لايزال في يد أبو بكر وأن حالهم كان لايزال منتشرا في الصحراء غير مجتمع، كذلك إستادا على رواية ابن الصيرفي التي تقول إن أبا بكر بن عمر قرر إنشاء قاعدة مرابطية على مقربة من أغمات[1].

عمل الأمير يوسف بن تاشفين على أن تكون المدينة حصنا له ولجنده فجلب الحجر لبنائها من جبل بقرب موقعها[2]، حيث كان نزولهم فيها في بداية الأمر بالخيام وبناء مسجد لصلاة كما بنى قصبة صغيرة لاختزان الأموال والسلاح[3].

شرع العمال في بناء مسجد مراكش وكان يوسف بن تاشفين يعمل بنفسه في الطين والبناء تواضعا منه، وما بناه بيده هو الموضع المعروف بسور الحجر في مدينة مراكش[4]، فبعد نزول المرابطين وبناء مسجد للصلاة بدأ الناس في بناء الديار مع أشياخ القبائل والبنائين فقد أعان الأشياخ على بناء المدينة بالمال والرجال واستغرق بناء سور الحجر نحو ثلاثة أشهر وأول دار بنيت بمراكش من ديار المتونة دار تُورْزَجِينْ بن الحسن[5].

إلى غاية وفاة يوسف بن تاشفين سنة (500هـ/ 1106م)[6]، بقيت المدينة دون أسوار تحميها حتى تولى الحكم علي بن يوسف بن تاشفين، حيث قام ببناء سورها الذي استغرق ثمانية أشهر وكلف ستين ألف دينار سنة 526هـ[1].

1_ليفي بوفنسال، تأسيس مراكش(462هـ/1070م)، تر: أحمد التوفيق، من أشغال الملتقى الأول 1988م، تحت مسمى مراكش من التأسيس إلى أواخر العصر الموحدي، جامعة القاضي عياض، ص23.

2_أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص22.

3_ابن خلدون، المصدرالسابق، طبعة بيت الأفكار الدولية، ص208.

4_علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص138.

5_ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مج3، تح :بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص16.

6_ابن خلدون، المصدر نفسه، ص1649.

وبخصوص أسوارها فهي مبنية بالجير والرمل الممزوجين بالتراب مما يجعل الخليط صلبا لدرجة أنه إذا أصيب معول تطاير منه كأنه صخر[2].

ولتطوير مدينة مراكش سعى علي بن يوسف على استعمال نظام القطارات حيث تمكن من جلب المياه عبر شبكة يقارب طولها ألف كلم قصد توفير المياه للمدينة[3].

وفي أيام الموحدين سعى إلى تطويرها بعد تأسيسها من طرف المرابطين فأمر عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش ، فشرع في بنائه وتأسيس قبته سنة 553هـ وهو مسجد الكتبية الذي أتم بناؤه يعقوب المنصور الموحدي[4].

كما أمر يوسف بن عبد المؤمن[5] ببناء القنطرة تانسيفت نتيجة تزايد السكان والازدهار الاقتصادي الذي حققته المدينة فأصبحت مراكش غير كافية لاحتوائهم فعمل الخليفة على توسعتها وكلف بذلك ابنه أبو يعقوب المنصور للإشراف على هذا المشروع.

وبعد وفاة الخليفة يوسف خلفه ابنه المنصور الموحدي سنة (580هـ / 1184م) وعمل على إتمام المشروع وجلب لذلك صناع من الأندلس وأمرهم ببنائها وبذل جهودهم في إتقان بنائها وسماها الصالحة[6] وهذا نتيجة التطور والازدهار الذي عرفته مراكش أيام الموحدين.

1_ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 139.

2_مارمول كاربخال، المرجع السابق، ص47.

3_الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (د.ط)، مطبعة برلين، لندن، 1803م، ص69.

4_يعقوب المنصور الموحدي: هو عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي لقبه المنصور ولد بقصر جده عبد المؤمن بمراكش سنة (555هـ) وكنيته أبو يوسف. ينظر ابن أبي زرع الفاسي، المصدرالسابق، ص216.

5_يوسف بن عبد المومن: هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الزناتي أمه حره اسمها عائشة بنت الفقيه موسى التينملي ولد في الثالث من رجب سنة 533 هـ الموافق ل06 مارس 1129م. ينظر ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص205.

6_ابن عذارى، المصدر السابق، مج4، ص 51.

المطلب الثاني: التركيبة البشرية لعناصر المجتمع المراكشي

أولا: البربر:

ويعتبرون السكان الأصليون لمراكش باعتبارهم الغالبية العظمى وتباين المؤرخون فيما بينهم حول أصل كلمة بربر[1]، فقد مثلوا معظم سكان المغرب بصفة عامة والمدينة بصفة خاصة فيقول الناصري عن المدينة "كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر"[2]، باعتبارهم الغالبية العظمى من السكان فقد لعبت البائل البربرية دورا بارزا في تاريخ المنطقة بشكل عام و المدينة بشكل خاص ، ففي عهد المرابطين برزت قبائل صنهاجة على مسرح الأحداث بحكم أنهم من أسسوا الدولة ومنهم الأسر الحاكمة، وعمل الأمير يوسف بن تاشفين على استدعاء قبائل صنهاجة إلى عاصمة دولته مراكش وحرص على منحهم مناصب عليا والاعتماد عليهم في الجيش[3].

أما بوصول الموحدين إلى الحكم فقد احتلت قبائل المصامدة الصدارة لأنهم يعتبرون مؤسسي الدولة فقد كانت تشكل هذه القبائل القوة العظمى[4].

فيذكر ابن خلدون حول المصامدة "لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال دَرْنْ عظيما وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا... حتى لما اختطوا مدينة مراكش أنزلهم جوار موطنهم من درن ليتميزوا عن من سواهم ويذللوا من صابعهم"[5].

1_البربر: يرى الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي أن الكلمة مشتقة من الفعل العربي بربر بمعنى همس أو أنها مشتقة من أصل الموطن الذي يسكنه البربر وهي الصحراء (بر). ينظر الحسن الوزان،المرجع السابق، ص34.

2_الناصري، المصدر السابق، ص22.

3_حسن علي حسن، المرجع السابق، ص296.

4_حسن علي حسن، نفسه، ص245_296.

5_ابن خلدون، العبر، طلعة بيت الأفكار الدولية، المصدر السابق، ص1646.

أ/ صنهاجة

يعد صنهاجة أهم عناصر سكان المغرب الأقصى في العصر المرابطي فإلى جانب كثرة عددهم لعبت الدور الحاسم في قيام دولة المرابطين، كما تنتمي صنهاجة إلى قبيلة حمير اليمنية حسب روايات ابن الكلبي[1] والهمذاني اللذين ذكرا أنها تنتمي إلى صنهاج بن عبد شمس بن وائل بن حمير، وتضم صنهاجة مجموعة من القبائل وصل عددها السبعين قبيلة ومن هذه القبائل لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة ومسراتة ومنداسة[2]، ففي عام (559هـ / 1164م) قامت قبائل صنهاجة بالثورة ضد خليفة الموحدين يوسف بن عبد المومن وتزعم تلك الثورة مَرَزْدَغْ الصنهاجي وانضم إلى تلك الثورة بطون من صنهاجة وغمازة وأوربة وهذا ما يبين ولاء صنهاجة للمرابطين[3].

ب/ زناتة:

تعد زناتة العنصر الثاني من عناصر سكان المغرب الرُحَل أيام المرابطين وهم فرع من البربر البتر تعود أصولهم حسب الادريسي إلى جَانَا بَنُ ضريس بْنُ لَوَى بْنُ نَفْجَا وبْنُ بَرْ بْنُ قَيْسْ[4].

ومن أشهر قبائل زناتة بنو مغراوة اللذين يعدون أوسع بطون زناتة وبنو يَفْرنْ وبنو وَتَاجْنْ وبنو يَلُمَا وبنو سنوس، وقبائل مكناسة جراوة وبنو توجين ومطماطة ....[5]

في عهد المرابطين تم الاستيلاء واقتحام الامارات الزناتية الواحدة تلو الأخرى فكانت بحد السيف مما جعلها ترضخ للأمر الواقع وأدت ما عليها اتجاه الحكم المركزي[6]، ولعل ما يؤكد

1_ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1629.

2_ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص40.

3_ابن خلدون، المصدر نفسه، ص29.

4_الإدريسي، المصدر السابق ، ص88.

5_علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ (دولة الموحدين)، د.ط، دار البيان للنشر، د.ت، ص146.

6_ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، المصدر السابق ، ص15.

خضوعها لسلطة المرابطين مساهمتها في خوض غمار الجهاد ضمن الجيش المرابطي لتشكل مع مصمودة وقبائل غمازة ما يعرف في الجيش المرابطي باسم الحشم.

ج/ المصامدة:

ينتسب المصامدة إلى مصمود بن مادغس وحسب ابن خلدون ينتسبون إلى مصمود بن برنس[1]، ويتميزون بكثر أعدادهم بالنسبة لمجموع السكان فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم وينقسمون إلى ثلاث وحدات كبرى أهل جبل درن وبراغواطة تامسنا ثم غمارة الريف وكان للبراغواطة أهمية كبرى قبل الاسلام في حين صار لأهل جبل درن في عصر المرابطين والموحدين دور الريادة[2]. فقد ظل المصامدة أيام المرابطين العنصر البشري الأكثر قوة والأكثر عددا وقد تركزوا في الجبال والسهول ورغم أنهم خضعوا للحكم المركزي فإن المرابطين عجزوا عن إزاحتهم عن أماكن استمرارهم.

أما مصامدة السهول خاصة مصامدة تَامَسْنَا فقد أبيدوا من طرف المرابطين اللذين حلو محلهم[3]. وفي أيام الموحدين صارت قبائل المصامدة في الريادة واعتلت حكم مراكش.

ثانيا: العرب:

وهم عرب هلالية وأندلسية تواجدوا في العصر المرابطي والموحدي جاؤوا مع الفتوحات الإسلامية ، لأن صلة العرب مع المغرب الأقصى تعود إلى أيام عقبة وموسى بن نصير حينما أخضعا لمنطقة السلطة المركزية في دمشق ولأجل نشر الدين الإسلامي ترك مجموعة من العرب تعلم أهالي المغرب قواعد الدين الإسلامي وتنشر بهم تعاليمه[4].

1_ابن خلدون، المصدر السابق، ص1659.

2_ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، د ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص34.

3_ابراهيم قادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص34.

4_ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص42.

أ/ **العرب الأندلسية:**

مع بداية قيام دولة المرابطين تضافرت عوامل عديدة ساعدت على استقطاب الأسر العربية نحو المغرب للاستقرار به ومع شيوع الأمن والاستقرار بعد جهاد دام ربع قرن جنى خلاله يوسف بن تاشفين ثمرة ألقابه وبسط سيطرته على المغرب[1].

كما استقدم الأمراء المرابطين عددا منهم للاستعانة بهم في بعض الخدمات فقد استقدم يوسف بن تاشفين أحسن صناع قرطبة لبناء عدد من الأحياء إلى جانب ذلك حل بالمغرب العديد من عرب الأندلس خاصة بمراكش في ميادين أبرزها القضاء والإدارة[2] لدرجة أن أغلبهم من الوزراء في عهد المرابطين أمثال مالك بن وهيب يضاف إلى ذلك كانت قبلة لرجال العلم الأندلسيين.

ب/ **العرب الهلالية:**

من القبائل العربية التي دخلت المغرب واستقرت به على سبيل المثال بنو هاشم وبنو تميم .. وغيرهم ناهيك عن العناصر الرسمية التي جاءت كوفود ذات مهام رسمية كالولاة والعمال وحاشياتهم والجنود وعائلاتهم وتم استقدامهم لإنقاذ الأندلس ورد دعاية ألفونسو؛ غير أن الفكرة استبعدت خوفا من احتلالهم وتدميرهم[3]، كما أنهم ساهموا في الجواز الثالث لابن تاشفين للأندلس سنة 490هـ كما شاركوا أيضا في عدة معارك وفي عهد الموحدين خاضوا معركة ضد العرب في بجاية سنة (547هـ / 1152م) انهزم فيها العرب مما اضطر الموحدون إلى نقل نسائهم وأبنائهم إلى مراكش وبعد الهزيمة الثانية سنة (555هـ / 1192م) نُقل مجموعة من النساء والأطفال إلى العاصمة مراكش وأحسن معاملتهم وهذا ما دفع بكثير من العرب الفارين إلى اللحاق بهم[4]، فأنزلهم المساكن الفسيحة كما وزعت عليهم نفقات وراسل أمراء

1_ عباس نصر الله سعدون، المرجع السابق، ص57.

2_ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص57.

3_ابن عذارى، المصدر نفسه، ج4، ص141

4_الاستبصار، المصدر السابق، ص 151.

العرب يخبرهم أنهم في حمايته، بالإضافة إلى استدعاء خلفاء الموحدين بهم وإشراكهم في الجهاد مثل ما فعله الخليفة عبد المومن حين أراد العبور إلى الأندلس.

ثالثا: الفئات الأخرى:

أ/ الصقالبة والروم:

تشكل الصقالبة[1] أحد أقليات التركيبة الاجتماعية لعناصر المجتمع المراكشي، إذ أن المرابطون استخدموهم حرسا لهم كما ذكر صاحب الحلل الموشية[2] "القائلة بشراء يوسف بن تاشفين جملة من العلوج فأركبهم وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا" وهي الرواية نفسها التي استند بها ابن عذارى[3] إذ يقول "وبعث إلى الأندلس فابتيع بها جملة من الأعلاج... وانتهى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارسا" حيث حدد الأول مائتان وخمسون فارسا والثانية بمائتان وأربعون علجا، فالروايتان تختلفان في العدد لكنهما تتفقان حول استعمال لفظ العلج أو الأعلاج.

ويبدو أن المرابطين لم يقتصروا في شرائهم للصقالبة على العنصر الرجالي فحسب بل تعداه إلى العنصر النسوي حيث بعث يوسف بن تاشفين إلى الأمير أبي بكر بن عمر بعد عودته من الصحراء عشرين جارية أبكارا وجملة من خدم الخدمة[4].

1_الصقالبة: المقصود بالصقالبة في الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التي تمتد أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياني وكلمة صقلب فرنسية قديمة (esclave) ومعناها عبد أو ورقيق وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة لأن بعض الجرمان الاسكندنافيين أبوا على تبني= =الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب الأندلس ولذلك أطلق عليهم اسم الصقالبة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، د.ط، دار مكتبة الحياة ، 1979، ص 103.

2_ الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 25.

3_ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، المصدر السابق، ص23.

4_ابن عذارى، المصدر نفسه، ج4، ص26.

كما برزت هذه الأقلية في عصر الموحدين فالمنصور الموحدي قام في سنة (586هـ / 1190م) بنقل أهل قصر أبي دانس[1] من غرب الأندلس إلى مراكش وهم ينتمون إلى الروم والصقالبة[2].

ب/ السودانيون:

توجد في المدينة مجموعة من الأقليات ومن بينهم السودانيون وكان ذلك طبيعيا بحكم العلاقة مع بلاد السودان في التجارة خاصة الذهب[3].

جلبهم يوسف بن تاشفين لخدمته وخدمة جيشه فوظفهم كحرس خاص به[4] وتشير المصادر أن عددهم في الفترة المرابطية بلغ ألفا سوداني استعملوا كأدلاء للقوافل التجارية وكطاقات حربية تستجيب لهم في الغزو والجهاد.

ولم يقتصر استخدام المرابطون للسودانيون على فئة الرجال لوحدهم بل شمل فئة النساء السودانيات اللائي تم تسخيرهن للعمل في الخدمات المنزلية أو كجواري للمتعة والترفيه حيث تشير النصوص التاريخية إلى استخدامهن كطباخات لمهارتهن فيه[5].

ج/ الأتراك الأغزاز:

تباينت الروايات حول وجود العنصر التركي ضمن سكان المغرب عامة ومراكش خاصة ففي عصر المرابطين يؤكد ابن ابي زرع[6] والناصري[7] أن يوسف بن تاشفين أدخل الأتراك الغز

1_قصر أبي دانس: فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم سنة 614 هـ. ينظر الحميري، المصدر السابق، ص 475.
2_الحميري، نفسه، ص 475.
3_ابن عذارى، المصدر نفسه، ج4، ص23.
4_الناصري، المصدر السابق، ج1، ص117.
5_البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تح ديسلان، ط2، باريس، 1911، ص158.
6_ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص129.
7_الناصري، الاستقصا، ج2، المصدر نفسه، ص27.

ضمن جيشه في حين فترة الموحدين رجح ابن خلدون أن دخولهم لم يبدأ سوى في عهد الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن سنة 574 هـ[1].

رابعا: أهل الذمة:

أ/ الطائفة المسيحية:

المتتبع للنصوص التاريخية يجد شح في المادة التاريخية المتعلقة بتاريخ المسيحيين، فبالنسبة للمغرب الأقصى كان تواجدهم ضئيلا، إن لم يكن سير نحو الاندثار غير أن قيام الدولة المرابطية غيّر من هذه المعطيات، فبدأ عدد النصارى ينمو ويتكاثر عن طريق جلبهم كمرتزقة في الجيش[2]، فبدأ استعمالهم في الجيش المرابطي منذ عهد يوسف بن تاشفين الذي اشترى منهم عددا بلغ نحو مائتين وأربعين[3] واستمر استقدامهم في عهد علي بن يوسف ثم ابنه تاشفين الذي صحب معه من المماليك النصرانية زهاء أربعة آلاف مسيحي، كما أن الكتاب الأندلسيين هم الذين شجعوا الأمراء على استقدامهم، يضاف إلى هذه الأصناف من المسيحيين العديد من الصبايا والجاريات الروميات اللائي كن يقدمن إلى المغرب إما عن طريق الأسر أو عن طريق تجارة الرقيق[4] وتمثلت أهم مراكز تجمعاتهم في المغرب بالعاصمة مراكش على الخصوص، كذلك في فترة الموحدين كانت أحياء خاصة لإقامة أهل الذمة في مراكش وهو ما يدل على وجودهم أنه حينما حدث قحط في عهد المنصور الموحدي في المدينة خرج سكانها كلهم للدعاء ومنهم النصارى[5].

1_ابن خلدون، العبر، ص1650.

2_ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص68.

3_عباس بن ابراهيم السملالي، الاعلام بمن حل بمراكش وآغمات من الأعلام، ج10، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، (د.ت)، ص299-300

4_ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص29.

5_حسن علي حسن، المرجع السابق، ص296.

ب/ الطائفة اليهودية:

انتشر اليهود في العديد من مدن المغرب الأقصى خاصة مراكش، فكان عليهم كسائر أهل الذمة أن يؤدوا الجزية للحكم المرابطي.

كما كان في عهد علي بن يوسف نوع من المعاملة الحسنة التي حظوا بها حيث أنه أتاح لهم دخول مراكش نهارا ومنعهم من المبيت بها ليلا لأسباب أمنية، وقرر الأمير المرابطي أنه متى عثر على يهودي قضى الليلة في العاصمة، أستبيح دمه ولذلك فإنهم تجنبوا المبيت فيها خوفا من المرابطين[1].

1_ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 99-100.

الفصل الثاني:

مظاهر الاتصال الحضاري بين المغرب والأندلس

المبحث الأول: العوامل المساعدة على ازدهار الحركة العلمية بين المغرب والأندلس

المطلب الأول: الوحدة السياسية والمذهبية عهدي المرابطين والموحدين

المطلب الثاني: تشجيع الأمراء والخلفاء للعلماء

المبحث الثاني: حركة العلماء الإشبيليين في مراكش على عهد المرابطين والموحدين

المطلب الأول: العلوم والعلماء على عهد المرابطين

المطلب الثاني: العلوم والعلماء على عهد الموحدين

المبحث الأول: العوامل المساعدة على ازدهار الحركة العلمية بين المغرب والأندلس:

كان من نتائج قيام أكبر دولتين في المغرب والأندلس (المرابطية والموحدية) تلك الوحدة السياسية، والجغرافية والمذهبية التي جمعت العدوتين وكان لهذا التوّحد أثر عظيم على بلاد المغرب كما الأندلس، من خلال التّجاوب والتجاذب بين العدوتين، وكذا اختلاط وتلاقي المؤثرات الحضارية المختلفة، فنشأت صلات حضارية وثيقة، امتزجت فيها حضارة أندلسية راقية، بحضارة المغرب الإسلامية الناشئة، حيث أصبح أهل المغرب أكثر انفتاحا على العدوة الأندلسية، كما حل أهل الأندلس على المغرب بثقافتهم وعلومهم وحضارتهم مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية التي جمعت بلاد المغرب بالأندلس والظّاهر أنّ تأثير الأندلس العلمي على بلاد المغرب هو الأكثر شيوعا وهذا له ما يبرره حيث أن الأندلس كانت سباقة للحضارة والعلوم مقارنة بالمغرب .

ولا يخفى على القارئ أن مراكش مدينة حديثة النشأة (462هـ) ارتبط تأسيسها بقيام دولة المرابطين كما أنها ليست بتلك الأصالة والشهرة التي كانت عليها معظم حواضر العالم الإسلامي على غرار قرطبة وإشبيلية والقيروان وغيرها لذلك كان لزاما على حكامها سواء المرابطون أو الموحدون من بعدهم أن يسيروا بها لتتبوأ مكانها بين الحواضر وذلك بالأخذ بالأسباب والمسببات اللازمة .

المطلب الأول: الوحدة السياسية والمذهبية عهدي المرابطين والموحدين:

أولا: المرابطون:

بعد الذي مر على الأندلس من تفرق وتمزق وضعف وتقهقر للثغور وتكالب لأعداء الدين، أرسل الله لهذه البلاد من يجمع شملها ويرأب صدعها ويوحد كلمتها هو يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وناصر الدين قطع طمع العدو وحسم الخلاف وأعاد الأمن بعد الخوف فتوحدت الأندلس على عهده تحت بيعة العباسيين[1]، كيف لا وهو الذي دانت له الأرض من السودان

1_عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص147.

الغربي جنوبا إلى الأندلس شمالا وخطب له على ما يقارب الألفين منبرا[1]، فاجتمعت له من البلاد في المغرب ما لم يسبقه إليه أحد.

تبع علي والده يوسف في الأمر بعد ما أخذ له البيعة بولاية العهد وترك له ثلاث وصايا يرتكز عليها في حكمه للمسلمين في المغرب والأندلس الأولى: أن لا يهيج أهل جب درن ومن معهم من المصامدة، والثانية أن لا يستعدي بني هود بالثغر الأعلى ويهادنهم حتى يكونوا حائلا بينه ودولته من النصارى والأخيرة أن يتجاوز عن كل مسيء من أهل قرطبة ويقبل منهم كل إحسان[2] هكذا كانت وصايا الأمير يوسف لابنه يلقنه فيها سبل الحكم الرشيد والسياسة فكانت بذلك البلاد موحدة مغربها وأندلسها واجتمعت على أيامه دولة المرابطين، يقول ابن أبي زرع الفاسي :" .... وملك من البلاد ما لم يملك والده، لأنه وجد البلاد هادئة، والأموال وافدة والملك قد توطأ، والأمور قد استقامت ".[3]

لعبت الدعوة المرابطية دورا هاما في تغيير أوجه الحياة انطلاقا من المغرب الأقصى إلى الأندلس، إذ ترتب على نشرها أن تغيرت الأوضاع السياسية والدينية الاجتماعية، فالدعوة المرابطية هي دعوة اصطلاحية استدمت تعاليمها وأحكامها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي دعى الناس إليها عبد الله بن ياسين، وذلك ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والمعرفة،[4] فكان أساس دعوة المرابطين هو العلم وعليه قامت دولتهم وكانت نزعة عبد الله بن ياسين إلى علم الفقه والدين أقوى منها إلى أي توجه آخر فغلب هذا الميل على الدولة فيما بعد، ومن ثم كان تقديمها للفقهاء واختصاصها هم دون غيرهم من أرباب المعارف المتنوعة، برغم ما صار إليها من عدد العلماء والفلاسفة من جراء ضم الأندلس للمغرب،[5] ومن ذلك اشتداد

1_ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص136.
2_سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص139. وأيضا: مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 82-83.
3_ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص157.
4_حسن علي حسن، المرجع السابق، ص449.
5_عصمت دندش، المرجع السابق، ص 352.

ايثار علي ابن يوسف بن تاشفين لاهل الفقه والدين فكان لا يقطع امرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، والزم القضاة بالا يبثوا حكومة في صغير الامور وكبيرها الا بمحضر اربعة من الفقهاء فعظم أمر الفقهاء، ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده الا من علم مذهب مالك، فنقت في زمنه كتب المذهب وعمل بمقتضاها.

ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله سبحانه وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن احد يعتني بها كل الاعتناء.[1]

وعلى أي حال فان علم الفقه على المذهب المالكي قد تفوق على العلوم الاخرى وواصل تقدمه، وكثرت مناظراته وعقدت المجالس الحافلة في مدن الدولة كلها سواء بالاندلس أو في المغرب، وامتزجت دراسة الفقه بعلم الاصول، وظهر الاشتغال بعلم الكلام على طريقة اهل النظر والتاويل، ولم يكن قبل ذلك مما يشغل به احد، وعنى كثيرون بعلم القراءات وعلم الحديث والرواية فكثرت الرحلات لسماعه والاخذ عن رجاله رغبة في علو الاسناد والضبط والاتقان.[2]

وقول بعض المستشرقين بان المرابطين لم يحملوا سوى التبربر والوحشية انما هو غاية الخطأ والمبالغة في حقهم، إذ يرد ليفي بروفنسال عن هذا الادعاء بقوله: " وانما اتبعوا في ذلك دوزي الذي درس تاريخهم دراسة ناقصة لنقص المراجع، فتمثلوهم برابرة صحراويين متوحشين اخلاقا متعصبين طغت جموعهم على اسبانيا لتستبد بها ولتخمد فيها كل شيء حتى عبقريتها الخاصة وكان ذلك التصوير خطأ فاحشا، وظلما بينا....إن المرابطين كانوا قبل عبورهم إلى اسبانيا يجتذبون أهل الادب والشعر من الاندلس إلى بلاطهم الناشئ في جنوبي مراكش....[3]

1_أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة الحنفي المالكي، الشافعي وانتشارها عند جمهور المسلمين، تق: محمد ابو زهرة،ط1، دار القادري، بيروت، 1411هـ_1990م، ص 67-68.

2_دندش، المرجع السابق، ص 354.

3_ادندش، نفسه، ص 350.

وقضية احراقهم كتب الغزالي وما أحدثته من ضجة انما كان تبريرهم عنها لاحتوائها على علم الكلام والفلسفة وكراهية المالكية لهذه العلوم إلا أن هذا السبب ترافقه اسباب أخرى كثيرة لا يسعنا ذكرها جملة وتفصيلا.[1]

وعلى كل فإن قيام دولة لمرابطين كان نصرا للمالكية في المغرب وتأكيدا لدور علماء المذهب، فالدولة اساسا هي دعوة اصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الامام مالك، ثم تطورت الحركة الاصلاحية من مجرد دعوة إلى حركة مسلحة خلصت المغرب من البدع الضالة والتفكك، كما حفظت الأندلس من مخلب النصارى ووحدت العدوتين على تعاليم الامام مالك خاصة، اذا نظررنا إلى ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به علماء وفقهاء المرابطين في الدولة وذلك بفضل دراستهم للمذب المالكي وتطبيقهم لاحكامه في شتى المجالات بفضل ولاة امرر المالكين فلم يكن يقرب من امير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع (فروع مذهب مالك).

وصارت الفتيا والاحكام مستمدة من مذهب الإمام مالك حتى نهاية الدولة ولا يلتفت إلى غيرها من الأحكام، ولكن جهود العلماء والفقهاء المتأخرون على الفروع وتركهم للأصول مع معارضتهم لعلم الكلام كان سببا في تقوي عبد المؤمن بن علي على دولتهم[2].

ثانيا: الموحدون

شهد المغرب الاقصى خلال حكم المسلمين علي بن يوسف- هزة فكرية جديدة متمثلة في الدعوة الدينية التي نادى بها ابن تومرت، وبثها بين اتباعه ومريدبه، محاربا بها الدعوة المرابطية، وهذه الدعوة هي خلاصة دراساته التي قام بها في المغرب والاندلس ثم في المشرق حيث التقى بكثير من ائمة الفكر والدين.[3]

1_حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 352.

2_حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 464-465.

3_حسن علي حسن، نفسه، ص353.

ومع أن الحركة الفكرية في بداية الموحدين امتداد للحركة الفكرية في اخر عهد المرابطين إلا أن هناك اختلافات في الاتجاهات الفكرية خصوصا ما يتعلق بالفقه والمذهب المالكي على الخصوص، فدعوة ابن ياسين كان الهدف منها نشر الدين والتمكين لتعاليمه السمحة من النفوس، فلزم ذلك رفع راية العلم والعرفان، فالدين الاسلامي والمعرفة متلازمان ودعوة ابن تومرت كانت ترمي إلى غاية ابعد من سلفه وهي تجديد الدين وهي مهمة تقتضي التوسع في العلم أكثر مما يقتضيه نشر الدين فاعتمدوا على الشعر والشعراء واجزلوا لهم العطايا، لانهم وسيلة الدعاية المؤثرة السريعة في هذا الوقت.[1]

فهذه الحركة على شبهها من حركة المرابطين الا انها أكثر جذرية منها واكتسبت هذه الجذرية من مؤسسها محمد بن تومرت الذي تشبع منه تعاليم الاشعري في بغداد ورجع إلى بلاده شديد الغيرة على تجديد الفكر الاسلامي مكدا في الدرجة الاولى جانب التوحيد.

ومنه كسبت حركته اسمها- وداعيا إلى السنة وعقيدة السلف ورفض مفاهيم الفقه الرائجة التي تقول بالتجسيم ونسبة الصفات إلى الله سبحانه والتي تقبل اجتهادات الفقهاء التشريعية.[2]

ورغم أن مهمتنا في هذا العنصر ليست لاعطاء احكام قاطعة أو الطعن في هذه الحركة أو حتى شخصية ابن تومرت، الا أن تبيان عقيدة الدولة الموحدية اقتضت بالضرورة أن نسلط الضوء على بعض الجزئيات عن تحقيقها للتوضيح فقط.

فمن المعروف عند الكثيرين أن الاسس الفكرية والعقيدة لدعوة ابن تومرت كانت مزيجا من عدة فرق ومذاهب تتعارض ولا تتفق في بعض الأحيان مع منهج أهل السنة والجماعة الذي كان عليه رسول اله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اظهر الانحرافات الفكرية في هذه الدعوة[3] على ما يذكره عبد الواحد المراكشي بقوله:" فلما استوثقت منهم دعاهم إلى القيام معه اولا على

1_دندش، المرجع السابق، ص 354.

2_شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، (د.ط)، منشورات الثقافة، دمشق_الجمهورية العربية السورية، م1990، ص 101.

3_عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 254-255.

صورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير، ونهاهم عن سفك الدماء ولم يأذن لهم فيها واقاموا على ذلك مدة وامر رجالا منهم استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل، وجعل يذكر المهدي ويشوق اليه وجمع الاحاديث التي جاءت فيه من المصنفات، فلما تقرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال انا محمد بن عبد الله.... ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وانه المهدي المعصوم وروى عن ذلك احاديث كثيرة، حتى استقر عندهم انه المهدي...."[1].

فقد جعل من المهدية عقيدة ألزم بها اتباعه واضاف اليها حيث قال عن نفسه:" بانه المهدي المعصوم". ثم اشاع ذلك بين اتباعه حتى اصبحوا يطلقون لفظ المعصوم، وبهذا النهج —وهو الاقناع بالنسب العربي ثم بالمهدية ثم بالعصمة– انما يكون قد وافق فيه الرافضة الإثني عشرية الذين قالو بالعصمة لائمتهم حيث يقولون بوجوب عصمتهم كم الكبائر والصغائر والنسيان.

ولكي يوصل معتقداته وأفكاره لأتباعه ألف لهم كتاب سماه أعز ما يطلب.[2]

فقد استمدت دعوته مكوناتها من مذاهب متعددة، إذنا نادى بالامامة وبعصمة الإمام على مذهب الشيعة والظاهرية ونبذ التأويل على راي داود وابن حزم وبالتشدد في العقيدة تشدد الحنابلة، وبفهم التوحيد فهم المعتزلة، ويذهب كثير من المسائل على مذهب الأشاعرة، والدعوة إلى التوحيد ورفض التجسيم محاربة للمرابطين .[3] فهو بهذا يوظف المدارس الكلامية في العقائد لخدمة اهدافه السياسية ولذلك نجده يهاجم المرابطين الذين ساروا على نهج اهل السنة والجماعة واتهم بالتجسيم والكفر ووصفهم بالمجسمة.

كما اخذ ايضا عن مذهب الخوارج لا سيما في التساهل في الدماء ومقاومة السلطان الجائر حتى جعله ضربا من الجهاد في سبيل الله، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1_علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي دولة الموحدين، ج5، (د.ط)، دار البيارق، عمان، (د.ت)، ص 37.

2_الصلابي، السابق، ص.ص 45.47.

3_حسن علي، المرجع السابق، ص 454. وايضا: احمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص 68.

وهو بهذا قد تأثر بأراء كثير من الفرق والمذاهب فحركته هذه ليست اشعرية بحتة، وليست معتزلية تقوم على الادلة العقلية وحدها.

وليست خارجية كما ظنها علماء المرابطين، وليست رافضية في كل اتجاهاتها، بل هي مزيج مضطرب من اغلب الفرق والمذاهب الاسلامية ولهذا فإنه يبدوا من المقبول أن يطلق عليها العقيدة التومرتية وذلك لتمييزها عن كل المدذهاب السابقة بمنهج مستقل.

ومما لا شك فيه أن الخليط التومرتي في الافكار والعقائد كان له أثر بعد ذلك على بلاد الغرب الاسلامي وخصوصا بعد أن اصبح لهذه الافكار كيان سياسي يحميها وأصبح له نفوذ على معظم بلاد المغرب.[1]

المطلب الثاني : دور الأمراء والخلفاء في جذب العلماء:

لا شك أن المسلمين تيقنوا أن الطريق إلى الحضارة لا يتأتى إلا بالعلم وهذا كيف لا وأول ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم يوم أتاه جبريل عليه السلام أن قال له اقرأ ، حيث نزل أول الوحي على قضية واحدة وهي العلم ، قال الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾،[2] فكان هذا دليل على أن الإسلام دين علم وعمل، وهذا الذي كان بالمغرب

فأعظم دولتين حكمتا المغرب والأندلس(المرابطية والموحدية) خرجتا على إثر دعوة دينية تعليمية هدفها الظاهر تعليم الناس وتفقيههم في أمور دينهم ودنياهم .

1_علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ، ج5، المرجع السابق، ص 63-64.

2_سورة العلق، الآية 1-5.

أولا: المرابطون :

لقد حرص المرابطون ومنذ تحكمهم في بلاد المغرب والأندلس على العلم كلبنة أساسية في بناء الحضارة الإسلامية وهذا بإعداد جيل يسير وفق تعاليم عبد الله بن ياسين ، فاستقدم أمراء المرابطين العلماء والفقهاء والأدباء إلى قصورهم،[1] ولم يكونوا أقل اهتماما بالعلم والعلماء والأدباء والشعراء ممن سبقهم للملك ، فقد كانت عنايتهم لأدباء الأندلس مميزة حيث لم يبقى منهم أديب ذو شأن إلا ونال حظه من بلاط أمير المسلمين في مراكش أو في ديوان أحد الأمراء بالأقاليم المختلفة [2]عرفانا من المرابطين بالمكانة العلمية والحضارية التي كان عليها أهل الأندلس ومحاولة الاستفادة منها قدر المستطاع ، فكان يوسف بن تاشفين أول من بادر نحو هذه الغاية السامية فقد كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء فلا يقضي بأمر إلا بمشورتهم[3] ورأيهم والدليل على ذلك استشارتهم عندما استنجد به المعتمد لرد عدوان النصارى فقد كانوا لا يفارقونه لا في السلم ولا في الحرب حتى أنه انتدبهم معه يوم الزلاقة فكانوا يشجعون المقاتلين و يحثونهم على الجهاد في سبيل الله[4].

بالرغم من أن المرابطين كانوا أهل البدواة والصحراء البعيدة عن كل مظاهر الحضارة والرقي والعيش الرغيد، كانت الأندلس وأهلها تعيش الطفرة الحضارية، لذلك أدرك أمير المسلمين يوسف أن السبيل الأفضل للرقي هو الاغتراف من نهر الحضارة الأندلسية الإسلامية بالاحتكاك بعلمائها وأدبائها وبذلك يحدث التأثير والتأثر، فكان من مظاهر ذلك إنشاؤه لديوان الإنشاء لتحرير الرسائل تولاه أشهر رجال الأندلس من كتاب وأدباء أغلبهم عمل مع ملوك الطوائف[5]، اجتمع في عهده وعهد ابنه علي من بعده من أعيان القلم وفرسان البلاغة ما لم يتفق على اجتماعه في عصر

1_محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص67.

2_ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ط2، ص78.

3_مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص82.

4_عباس سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص90.

5_عباس سعدون نصر الله، المرجع نفسه، ص167.

من العصور،[1] طبعا هذه الصورة التي نقلها لنا المراكشي على عهد يوسف وابنه إنما تدل على قوة الاستقطاب التي كانت موجودة في عاصمة المرابطين حتى أصبحت تشبه ببغداد وكذلك يبين الدور الذي لعبه الحكام المرابطون في هذا الجذب فقد كانوا يحرصون على تشجيع كل ما له صلة بالعلم والأدب ويبدون الاهتمام البالغ بالدين فكانوا يحرصون على تعليم أبنائهم وتأديبهم بالقرآن وعلومه وتجلى ذلك في أنهم كانوا يخصصون الجزء من الزكاة لطلبة العلم والعلماء والمؤدبين مساهمي بذلك في خدمة كبيرة للعلم والعلماء وبناء الحضارة[2]، فلا نكون مغالين اذا قلنا إن الدولة كانت في الحقيقة دولة الفقهاء، فقد كان ما اتصف به ملوك الدولة من ورع وخشوع على التفقه في الدين والإلمام بدقائقه سببا في تقريب الفقهاء والعلماء وإدناء مجالسهم والوثوق بهم ، ووضح ذلك منذ عهد أبي بكر بن عمر ، فقد ذكر المؤرخون أنه كان يقرب الفقهاء ويصغي إليهم ويدني مجالسهم، ولكن يوسف بن تاشفين ذهب في تقربه من الفقهاء والقضاة إلى أبعد من من هذا ، فكان لا يسير إلا وهم في ركابه ، ولا يجلس إلا وقد حفوا به، ولا يكاد يقطع برأي إلا بعد استشارتهم. [3]

وبلغ من بر يوسف بالفقهاء والعلماء أنه أجرى عليهم الأرزاق، ورتب لهم الأعطيات من بيت المال، وكان علي بن وسف أكثر انصرافا من أبيه إلى مخالطة العلماء ومجالستهم فقد كان أميرا ورعا تقيا متزهدا متبحرا في الدين،[4] وتبعه في هذه السيرة أخوه إبراهيم بن يوسف الذي جمع بين يديه مجموعة من العلماء والفلاسفة والأدباء على رأسهم الأديب المورخ الفتح بن خاقان فألف تحت رعايته كتابه المشهور قلائد العقيان ، كذلك كان الحال مع طبيبه عبد الملك بن زهر المكنى أبا مروان الذي شجعه على إنجاز كتاب الإستقصا في إصلاح النفوس والأجساد.[5]

1_عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص227.

2_محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص77.

3_حسن أحمد محمود ، المرجع السابق، ص363-364.

4_حسن أحمد حسن،نفسه، ص265.

5_محمد الأمين بلغيث، نفسه، ص89.

هذه أمثلة سقناها على سبيل الذكر لا الحصر تدل المكانة المرموقة التي أولاها الأمراء المرابطون للعلم والعلماء كيف لا وهي دولة قامت على أساس علمي دعوي هدفه الأول إصلاح معتقدات الناس وعباداتهم حتى تستقيم لهم دنياهم وهذا لا يبلغ إلا بالعلم .

ثانيا: الموحدون

لاشك أن دولة الموحدين هي الأخرى كانت دولة دينية بامتياز حيث سلكت دعوتهم منذ ظهورها طريق العلم والمعرفة، حيث كان صاحب دعوتها ومؤسس منهجها ومذهبها المهدي بن تومرت عالما محبا لطلب العلم في المغرب والمشرق[1]، عمل على التأليف في شتى المعارف بهدف ترسيخ دعوته ونشرها وهذا ما يدل على المكانة التي أولاها الموحدون منذ أول أمرهم للعلم في سبيل تحقيق الغاية، وهو ما كان حيث وبمجرد ما أن تمكن ابن تومرت من التأسيس لأركان دولته ووضع تنظيماتها حتى وجه بصره نحو الجانب العلمي فأسس بحاضرته مراكش أول مجمع لطلبة بلاد المغرب والأندلس يتعلمون فيها علوم الشريعة ويتدارسون مؤلفات ابن تومرت،[2] هذه الصورة توضح نهج الدولة الموحدية تجاه العلم وهو ما يظهر أيضا في عهد عبد المؤمن بن علي الذي كان مؤثرا لأهل العلم محبا لهم، كثير الإحسان إليهم، مرحبا بالوافدين إليه من الأقاليم المختلفة، مغدقا عليهم الأرزاق الواسعة، معظما لأمرهم مكرما لهم.[3]

سار يوسف بن عبد المؤمن على نهج والده في تكريم العلماء والعناية بهم فقد كان حريصا على مجالسة الفقهاء ومحادثتهم، كما كان مهتما بجلب العلماء إلى عاصمته والاستفادة من علمهم،[4] وبنفس المنزلة أو أكثر كان العلماء والفقهاء على عهد المنصور الموحدي وهو الذي كان

1_عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص245.

2_حاكمي الحبيب، الروابط العلمية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين (541_626هـ/1146_1228م)، أطروحة لنيل شهادة الكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 1437_1438هـ/2016_2017م، ص69.

3_عبد الواحد المراكشي، نفسه، ص269.

4_حسين علي حسن، المرجع السابق، ص339.

يكرمهم بل وحتى يشهد جنائزهم وهذا إنما يدل على عظمة قدرهم عنده أحياءا كانوا أو أموت فقد كان يزورهم ويكرهم ويراعي حقهم وفضلهم ،[1] وهو العالم بالحديث والفقه واللغة له واسع الفضل على تشجيع العلم والعلماء فقد بنى المساجد والمدارس في بلاد المغرب والأندلس وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة كل على قدره ، وفيه قال فارس الملزوزي(ت697هـ/1297م) في نظمه هذه الأبيات :

وكان ذا علم يحب العلما ملازما للفقها والحكما

أول من قد صنع المدارسا ومكرما من ظل فيها دارسا

وكم بنا من مسجد وصومعة ومن قباب كلها منوعة[2]

هكذا احتل الفقهاء والعلماء المنزلة المرموقة والمكانة الرفيعة في المغرب الأقصى خلال حكم كل من المرابطين والموحدين على الرغم من الاختلاف الكبير المذهب بين الدولتين إلا أنهما اتفقتا على مكانة العلم والعلماء في بناء الدول وترقية المجتمعات وازدهار الحياة الثقافية فغدت حاضرة الدولتين "مراكش" تشبه ببغداد عاصمة العباسيين لما كانت عليه من شهرة واسعة لمكانتها العلمية والحضارية

المبحث الثاني :حركة العلماء الإشبيليين في مراكش على عهد المرابطين والموحدين :

شجع أمراء المرابطين والموحدين من بعدهم العلماء والفقهاء، انطلاقا من الأسس الدعوية التي قامت عليها كلتا الدولتين، وبطبيعة الحال فإن التباين كان موجودا في مجالات العلوم وذلك راجع لخصائص كل دولة وتوجهها؛ فكان عصر المرابطين عصر فقهاء أكثر منه عصرا أدباء وفلاسفة مقارنة بعصر الموحدين ومع هذا كله بدأت الحركة العلمية والأدبية تزدهر منذ عهد علي بن يوسف بن تاشفين بعد أن أخذ المرابطون بنصيب من الحضارة لابأس به.

1_ حسين علي، المرجع السابق، ص340.

2_حاكمي الحبيب، المرجع السابق ، ص78.

اشترك المرابطون وكذا الموحدون في نشر العلم بتوفير مقوماته من بناء للمساجد واستقبال للعلماء، كما قاموا ببناء المدارس التي كانت مقصد الطلاب خاصة من خارج مراكش فكانت منارة علم، وكانت تستقطب العديد من العلماء والفقهاء الأندلسيين.

كل هذه العوامل ساعدت على استقطاب العلماء الإشبيليين وشجعت على وفادتهم لمراكش فكان لهم أثرهم من خلال مجموعة من العلوم التي بثوها تعليما وتدريسا وتأليفا، مما أسهم في دفع الحركة العلمية في المغرب والأندلس.

المطلب الأول: العلوم والعلماء على عهد المرابطين

أولا: العلوم النقلية (الشرعية)

وهي العلوم التي يرجع الأصل فيها إلى الشرعيات من الكتاب والسنة،وتشمل الفقه والحديث والتفسير والقراءات وغيرها من العلوم.[1]

أ / علوم الفقه والحديث:

الفقه: هو معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفيين بالوجوب والحظر والندب والكراهة الاباحة وهي متلقات من الكتاب والسنة. [2]

الحديث: هو علم تعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وهو مرادف للسنة، كما أنه أصل من أصول التشريع الإسلامي.[3]

لم يبرز في هذا العصر سوى فقهاء المذهب المالكي؛ فالفقه أصبح في هذه الفترة فقه فروع لا سبيل إلى الاجتهاد فيه، بسبب موقف المرابطين والذي يميل إلى التسليم بأقوال أئمة المذهب

1_محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، (د.ت)، ص95.

2_ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 226.

3_محمد عادل عبد العزيز، نفسه، ص107.

المالكي[1]، ومن الفقهاء والمحدثين الإشبيليين الذين حلوا بمراكش على وجه الخصوص –وكان لهم أثر في المغرب عموما– نذكر منهم:

القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله العربي المعافري(ت543هـ):

ولد بإشبيلية يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين، وقيل تسع وستين وأربع مائة للهجرة، يقول عنه ابن خاقان:" علم العلم الظاهر على الأتراب الباهر للألباب الذي أنسى ذكاء إياس، وترك التقليد للقياس، وأنتج الفرع من الأصل".[2]

من مؤلفاته (أحكام القرآن الكبرى والصغرى)،(القبس على موطأ الإمام مالك بن أنس)، (ترتيب المسالك في شرح موطأ الإمام مالك)، وغيرها من لملفات في لفقه المالكي، تولى قضاء إشبيلية ثم نفي منها[3]. كانت وفاته ليلة الخميس لثلاث خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة[4] .

إضافة إلى آثاره العلمية الزاخرة التي استفادت منها كل رقعة حط بها وخاصة إشبيلية ومراكش بحكم أنها حاضرتي المرابطين في المغرب والأندلس، إلا أنه ترك بصمة له في السياسة فقد أرسل للخليفة العباسي المستظهر بالله خطابا يطب في دخول المرابطين تحت راية بني العباس والحكم باسمهم في بلاد المغرب والأندلس[5] وهذا ما كان له أثر كبير على المغرب والأندلس قاطبة.

1_إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، (د.ط)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء–الجزائر، 1420هـ/2000م، ص226.

2_أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي بن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان 1–2، تح.تع: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1409هـ/1989م، ص692.

3_العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج4 ،ص95_97.

4_النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص106. وأيضا: السملالي، المصدر نفسه، ج4، ص101.

5_محمد علي الصلابي دولة المرابطين، المرجع السابق، ص120.

محمد بن اسماعيل الزنجاني (ت 529هـ):

هو محمد بن اسماعيل بن عبد الملك الصدفي من أهل إشبيلية، يكنى أبا القاسم ويعرف بالزناجي، روى عن محمد بن فرج وأبي علي الغساني وغيرهما، وكان فقيها حافظا للرأي ذاكرا للمسائل مفتيا ببلده معظما فيه، رأسا للشورى مع السمت والسكينة، حملته المنافرة التي كانت بينه وبين أبي بكر بن العربي على التوجه لمراكش للسعي عليه والمطالبة له عند ولايته القضاء، توفي فيها سنة 529هـ، ثم سيق إلى إشبيلية فدفن بها[1].

ب/ التفسير:

اهتم المرابطون بتفسير القرآن وفهم معانيه بالإضافة إلى الحديث الشريف ومن العلماء الذين عرجوا على مراكش وتركوا لهم فيها أثرا وذكرا نجد :

عبد السلام بن عبد الرحمن ابن برجان اللخمي (ت530هـ):

هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي الافريقي ثم الاشبيلي أبو الحكم المعروف بابن برجان سمع من أبي عبد الله بن منظور صحيح البخاري وحدث به، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والإجتهاد في العبادة له تآليف مفيدة منها تفسر القرآن لم يكمله، وكتاب شرح الأسماء الحسنى، كان عالما بالتأويل والتفسير إماما في علم الكلام ولغات العرب، توفي بمراكش سنة530هـ[2].

ج/ علم القراءات والكلام:

علم القراءات هو كيفية النطق بألفاظ القرآن موضوعه القرآن من حيث أنه يقر أعين المسلمين بهذا العلم وبلغ عدد القراءات سبعة قراءات[3] أما علم الكلام نقصد به العلم الذي

1_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص76-77.

2_السملالي، المصدر نفسه، ج8، ص 473. وأيضا: محمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي(1283_1360هـ)، السعادة الأبدية في التعريف بماشاهير الحضرة المراكشية، مر.تع: أحمد متفكر، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، 1432هـ/2011م، ص70.

3_ابن خلدون، **العبر**، طبعة دار بيت الأفكار الدولية، المصدر السابق، ص 222.

يتضمن الحجج من العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المرتدين في الاعتقادات[1] ومن أشهر علماء البارزين في علم القراءات والكلام نجد **ابن برجان** الذي كان من أهل المعرفة بالقراءات وعلم الكلام والتصوف[2].

محمد بن عبد الرحمن بن طفيل العبدي الإشبيلي:

ويعرف بابن عظيمة، أخذ القراءات عن أي عبد الله السرقسطي، وروى عن أبي عبد الله الخولاني وأبي عبد الله ابن فرج وأبي علي لغساني وأبي داود المقري،[3] أخذ عن عدد من الشيوخ منهم أبي الحسن القيسي، وروى عن أبي بكر حازم بن محمد وأحمد بن عبد الحق الخزرجي وأبي عبد الله بن فرج وغيرهم من داخل الأندلس ومن خارجها.[4]

لقد شهدت العلوم النقلية أيام المرابطين ازدهارا مشهودا وهذا ليس بالعجيب في كنف دولة أساس قيامها دعوة إصلاحية دينية، فكانت دولة الفقهاء بامتياز؛ عملت على اتقطاب كل سبل الازدهار الحضاري والعلمي وعلل رأسها استقدام العلماء الأندلسيين الذين وفدوا إلى المغرب فكان لهم أثر كبير تجلى في تقديم هذه العلوم وتدريسها وجعل مراكش حاضرة من حواضر الدنيا.

ثانيا: العلوم العقلية (الحكمية)

شهدت مراكش أيام يوسف بن تاشفين حركية علمية لا بأس بها، ثم تبعها عهد علي بن يوسف الذي عزز هذا الجو حيث نشطت العلوم العقلية كعلوم اللسان العربي والفلسفة والطب والرياضيات.

1_ابن خلدون، المصدر السابق،ص 232

2_السملالي، المصدر السابق، ج8، ص 473.

3_المقري، نفح الطيب،ج2، المصدر السابق، ص 155-156.

4_السملالي، المصدر نفسه، ج4، ص92.

أ/ العلوم اللسانية:

وهي أربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة نظرا لما يحتاجه استنباط الأحكام التشريعية من إتقان للغة العربية، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان ما أمكن ذلك[1].

ويذكر بعض الباحثين أن المغرب شهد انتشار اللغة العربية بعد ظهور المرابطين على مسرح الأحداث توحيدهم للمغرب والأندلس، حيث يذهب بعضهم إلى أبعد من هذا حيث يذكرون أن يوسف بن تاشفين كان يجهل العربية[2]، لكن الأمر الأكيد أن اللغة العربية كانت لغة الدولة الرسمية في الدواوين والمراسلات.[3]

من بين علوم اللسان نجد :

1/ اللغة:

وجدت اللغة العربية حظها مثلها مثل العلوم الأخرى في عهد المرابطين، فأقبلوا عليها إقبالا واسعا بخلاف ما أشيع حول المرابطين من ادعاءات على أنهم لا حظ لهم في فهم العربية وأصولها ودليل ذلك مساهمة ولاة الأمر باستدعاء علماء في الفقه الحديث، التفسير والقراءات، التاريخ والجغرافيا، اللغة والأدب، من الأندلس ليعلموا أبناء المرابطين النطق الصحيح وفهم قواعد اللغة، فقد تعددت مؤلفات هذا العلم بتعدد العلماء ونذكر منهم:

1_ابن خلدون: المصدر السابق، ص 298.

2_محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص118، والذي بدوره ينقل هذا الحكم عن المستشرق دوزري رينهارت وهو المعروف بطرحه المتحامل على المرابطين .

3_محمد عادل، المرجع نفسه، ص118.

أبو القاسم محمد بن عبد الله ابن الجد الفهري (ت515هـ):

من أهل لبلة، سكن إشبيلية، أحد رجالات الآداب البلاغة وأحد كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الذي استدعاه من الاندلس لكتابة ديوان رسائله، توفي عام (515هـ/1121م) [1].

محمد بن عبد الملك ابن زهر الأيادي الطبيب العالم المشهور –سيأتي ذكره– له حظ وافر بعلم الأدب والعربية[2].

2/ النحو:

هو التوضيح والإبانة عن المقاصد[3] للدلالة على المعاني والحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور، تمثل الحروف التي تفضي بالانفعال أي الحركات[4].

لقد وردت في كتب التراجم والطبقات اشارات تفيد بوجود نشاط نحوي بالمغرب على عهد المرابطين، لكن الذي يظهر أنها كانت جهودا فردية لم ترق إلى التخصص في المعاهد العلمية المرابطية، ومن الكتب التي كانت تدرس بمراكش نجد: كتاب سيبويه والإيضاح لأبي علي الفارسي أوائل الأندلسيين الذين تصدروا تدريس النحو[5].

3/ الأدب:

وهو الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم،[6] فقد شهدت حاضرة مراكش بداية تفتح في العلوم الأدبية، ساهم فيه توافد العديد من الأدباء الأندلسيين الذين كانوا

1_ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص 837.
2_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص134.
3_ابن خلدون، المصدر السابق، ص 298.
4_ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 301.
5_محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص119.
6_محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص122.

يعملون لدى ملوك الطوائف، والذين انتدبهم يوسف بن تاشفين وابنه علي لما اقتضته ضرورات ومتطلبات الحكم وحاجة الدواوين، ومن أشهرهم:

محمد بن سليمان إبن القصيرة الكلاعي الإشبيلي (ت508هـ):

وكنيته أبا بكر من أهل إشبيلية كان من أهل الأدب البارع، رأس البلاغة في وقته[1] كان قد استدعاه يوسف بن تاشفين للكتابة بالعاصمة المرابطية بعد وفاة عبد الرحمن بن اسباط، وبقي على رأس منصبه حتى عهد علي بن يوسف[2]، والملاحظ لسيرة هذا الرجل أنه كان علم وقته وهذا ما اتفقت عليه جل المصادر التي ترجمت له، إضافة إلى الدور والأثر الكبيرين الذي تركه في العاصمة مراكش هو ومجموعة الأدباء الذين انتدبهم أمراء المرابطين لتصريف شؤونهم.

محمد بن عمر ابن عباد اللخمي (ت520هـ):

من أهل إشبيلية، يكنى أبا القاسم، كان له حظ في علم الوثائق ومشاركة في الأدب سكن مراكش بعد خلع عمه المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية على أيام الطوائف.

أبو نصر الفتح بن خاقان:

من كتاب الطوائف من أهل إشبيلية اشتهر بأسلوبه الأدبي البليغ خدم الأمير أبا إبراهيم إسحاق بن يوسف بن تاشفين، انتقل في أواخر أيامه إلى مراكش وعاش بها ومن مؤلفاته كتابه المشهور "قلائد العقيان في محاسن الأعيان" والذي اشتمل على تراجم أمراء الطوائف والفقهاء وكتبهم، انتهت حياته في فندق مراكش قتيلا وقيل علي بن يوسف هو من أمر بقتله[3] .

4/ الشعر:

شجع الأمراء المرابطين الشعر وكان الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين من بين المساهمين في قدوم الشعراء الأندلسيين الذي شغلوا مناصب هامة في البلاط المرابطي، فقد احتضنت حاضرة

1_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص49.

2_محمد عادل، المرجع السابق، ص123.

3_ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأبناء أهل الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص515.

مراكش العديد منهم مثل أبي الخصال الخافقي، ابن القصيرة ابن الحر وابن عبدول، كما نجد علماء آخرون في الفقه والحديث والطب ساهموا في مجال الشعر كابن زهر الأيادي الذي كان شاعرا ذا قريحة ولسان طلق[1].

ويمكننا أن نذكر شاعر خلف لنا الكثير من الآثار التي بنيت عليها الدراسات وذلك لأهميته وعظيم شأنه ومركزه وأيضا لحاله التي أضفى إليها وهو:

المعتمد محمد بن عباد اللخمي الإشبيلي:

الذي اشتهر بالأدب والشعر، وهو حال بني عباد إذ كانوا أفذاذا في المجال الأدبي عموما، وقد أولوا له أهمية كبيرة وعلى وجه الخصوص الشعر، حتى غدت مجالسهم أيام حكمهم غنية بجلسات الشعر والطرب،ومن المؤكد أن التقاليد العلمية التي توارثتها هذه الأسرة ساعدت على إحلال الأدب لديها هذ المحل وإعطائه هذه الأهمية[2]، "فقد كان متمسكا من الأدب بسبب، وضاربا في العلم بسهم، وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر، لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعة، واتخذه بضاعة، لكان رائعا معجبا، ونادرا مستغربا، فما ظنك برجل لايجد إلا رائيا، ولا يجيد إلا عابثا..."[3]

ولم يبلغ من الانتشار والإشراق مثلما بلغه في أيام المعتمد، وإنما هذا دليل على تمكنه وطول باعه، لذا اعتبر من أكبر شعراء الأندلس، لاسيما إذا تبحرنا في معرفة شاعريته وامتيازه[4] .

كما أن للشعر في عهد المرابطين عدة أبواب وهذه بفتحها الوصف.

1_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص 135.

2_صالح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية تاريخية نشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبيةفيها (414-461هـ) (د.ط)، دار الثقافة، بيروت_لبنان، 1965م، ص138.

3_أبي الحسن علي ابن بسام الشنتريني (542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، القسم الثاني، مج: 1، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت—لبنان، 1417هـ/1997م، ص41-42.

4_ يوسف أحمد عوالة، بنو عباد في إشبيلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1400هـ/1980م، ص402.

يقول إبن حبوس المتوفي سنة 570 هـ وهو من الأدباء البارعين في دولة لمتونة كما ذكر في المعجب:

إن رنت الريح الخقوف إزاءها ترك القضيب قوامه وتمايلا

شرب النشاط سلافة حتى إنثى ولو أنها حرمت عليه تأولا[1]

- **الغزل:**

يتجلى فيه الإبتكار في قول أبن الكتاني:

وما أبقى الهوى والشوق مني سوى نفس تردد في خيال

خفـيت عن المنية أن تـراني كأن الروح مني في محال [2]

- **المدح:**

وهو وصف بمكارم الاخلاق وختم بالدعاء والسلام ولابن زنباع في الفتح بن خاقان وهو إشبيلي:

ولولا ابو نصرو ولذات انسه نقضت حياتي كلها وهي علقم

أتوب بالمعاني وهي در منظم وجاء بها في أفقها وهي أنجـم

إليك أبا نصر بديهة خـاطر تـوالي عليه الثقـل وهو مـقيم[3].

- **الشكوى :**

تأثر الشعر أحيانا بحياة الزهد التي عرفها المرابطون فأصبح بعض الشعراء يزكون الموت يزمونه حياة الدنيا كما نجد في الأبيات التالية لإبن حبرين:

يـعـز عـلى النبـل أني أكسى أديبا وأسـمى وفـيرا

وإني ثبت لكف الزمان يعرق عـظمـي عـرقا مبـيرا

ومـاذاك أنـي هـيـابـة أخاف الرحيل وأشنا المسيرا

1_إبراهيم حركات، المرجع السابق ،ج1، ص 231.

2_ نفسه، ج1 ،ص 231.

3_نفسه، ج1، ص 231.

ولكـن بحكم رمانا غدا يحط الجياد ويسمى الحمير [1].

وهذا قد برز العديد من العلماء والأدباء في مجال تعلم الشعر بمختلف أبوابه وازدهر الشعر خاصة أيام علي بن يوسف وإبراهيم بن يوسف بن تاشفين.

كما نجد أن الحركة الفكرية للوفادة الأندلسية خاصة لأهل إشبيلية بمراكش كان لها الأثر العلمي البالغ في تطور وازدهار مختلف العلوم النقلية والعقلية وذلك بسبب تشجيع الولاة لهذه الحركة كما ذكرنا سابقا، وبسبب توفر حاضرة مراكش على المؤسسات التعليمية والمراكز التعليمية جعلت منها قطبا علميا لاستقطاب العلماء الأندلسيين وما أسهم في تقدم حركة التأليف وانتشار العلوم باختلافها وتدريسها لأبناء المرابطين.

ب/ الفلسفة:

لم تكن الفلسفة من الاهتمامات العلمية ذات القيمة عند المرابطين؛ وذلك لتشدد الفقهاء في تنفيذ أحكام الدين ومبادئه، فاعتبروا الفلسفة علما لا ينفع وفكرا مستويا بالكفر[2] ومنها تذكر حادثة حرق يوسف بن تاشفين كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي ومن أشهر علمائها نجد:

مالك بن يحي ابن وهيب:

من أهل إشبيلية وقيل أنه فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مراكش كما أمره علي بمناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي وله عدة مؤلفات منها:

كتاب "قراضة المذهب في ذرك لئام العرب" وكما يوجد له كثير من أجزاء الفلسفة كتاب "الثمرة" لبطليموس في الأحكام وكتاب المجسطي في علم الهيأة الذي كان يحتوي حواشي بتقييده[3].

1_ إبراهيم حركات، المرجع السابق ،ج1، ص 231.

2_عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت:2005،ص 131.

3_عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: سعيد العريان، ص252. وأيضا: حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص410.

وقلد كان لابن وهيب موقف مشهور خلال مناظرة ابن تومرت لفقهاء المرابطين في حظرة علي بن يوسف، حيث أشار عليه بقتله أو اعتقاله قبل أن يعظم أمره ويشتد خطره، غير أن علي لم يوافقه الرأي حتى أثبتت الأيام صحة نظرته للأمور.[1]

ج/ الطب:

كان للمجال العلمي عامة والطبي خاصة حظ وافر من التأثير الإشبيلي، فقد انتفع المغرب الأقصى وحاضرته مراكش بوفود أبز أقطاب الطب زوي الأصول الأندلسية الذين ساهموا في تطوير الطب وازدهاره بالمغرب، ومن أهم الأطباء نجد أسرة بنو زهر وهي أسرة من الأسر الأندلسية التي برعت في الطب وقدمت ستة أجيال متعاقبة من الأطباء المشهورين[2] منهم:

أبو العلاء بن زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان (ت525هـ):

اشتغل بالطب على أيام المعتضد بالله صاحب إشبيلية وبعد زوال ملكهم أصبح وزيرا لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وقد قربه المرابطون.

محمد بن عبد الملك ابن زهر الأيادي الإشبيلي (507هـ/595هـ):

أخذ صناعة الطب عن أبيه وباشر أعمالها ولم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب،[3] كما كان له باع في علوم أخرى، خدم الدولتين المرابطية والموحدية وذلك لأنه لحق دولة الملثمين وإستمر في الخدمة مع أبيه في آخر دولتهم[4].

زهر بن عبد الملك ابن زهر الأيادي:

زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي أبو العلاء كان طبيبا بارعا حيث أنه يكفيه النظر إلى قارورة البول ولمس النبض ليعرف الداء الذي يشكو منه المريض[5] وقد

1_لمياء توفيق دلة، الأندلس الإسلامية بين ملوك الطوائف ودولة المرابطين (478_541هـ/1085_1147م)، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة بيروت العربية،2015،ص161.

2_بلغيث أمين، المرجع السابق،ص220.

3_ السملالي، المصدر السابق، ج4، ص 135.

4_ ابن أبي أصبيعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 520.

5_ ابن ابي أصبيعة، المصدر نفسه، ص518.

كان في البلاط المرابطي حيث خدم يوسف بن تاشفين وبوفاة يوسف بقي طبيبا لعلي، توفي سنة 525هـ ألف لوالده أبي مروان تأليفا سماه " التذكرة" جمع فيها النكت الطبية والنوادر التي عثر عليها ليعلم الأدوية والأمراض الموجودة بمراكش[1].

كما بين أن ركود الماء بمنابع المدينة هو سبب مرض الزحار وأن الهواء الجاف بمراكش يورث السعال[2].

فقد جمع عديد الملاحظات التي جمعت وسميت بالمرجحات كما كتب في أمراض الكلى كتابا وله كتاب في الخواص كما ألف الترياق الحمسيني ليعقوب المنصور[3].

د/ الرياضيات:

يذكر بعض المؤرخين أن العصر المرابطي والموحدي شهد حالة من التراجع الثقافي خصوصا في العلوم العقلية مقارنة بالعلوم الشرعية وذلك نتيجة لسيطرة الفقهاء وتشددهم، وتعتبر الأعمال الرياضية **لجابر بن أفلح الإشبيلي** في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة ومساهمته في مجال حساب المثلثات[4]

فقد شهدت مراكش تطورا ملحوظا لهذا العلم فتخصص العلماء في الجبر والحساب وخاصة الهندسة المعمارية التي تجسدت في المقصورة الشهيرة للمسجد الجامع ومن العلماء نجد **برجان اللخمي** –سبق ذكره- الذي كان من المشاركين في علم الحساب والهندسة.

1_ ابن ابي أصبيعة، المصدر السابق، ص517.

2_ السملالي ، المصدر السابق، ج3، ص 251.

3_ ابن ابي أصبيعة، المصدر نفسه، ص517.

1_عبد الله بن علي الزيدان وآخرون، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض،1417هـ/1996م، ص42.

المبحث الثاني: أثر العلماء الإشبيليين في الحركة الفكرية بمراكش على عهد الموحدين:

كان الموحدون يشجعون الحركة الفكرية في جميع مظاهرها باستثناء الفلسفة وكانت الحركة الفكرية على أيامهم قد بلغت أوجها بسبب تشجيع العلماء على وفادة مراكش، ثم إن سبب ذلك لكون مراكش كانت بها معاهد ومراكز ومؤسسات تعليميةمكنتها من أن تتبوأ المكانة الكبرى، كما وفرت دولة الموحدين خزائن الكتب لينموا تنقلاتهم ما أسهم في جلب كبار العلماء من الأندلس الذي استفادوا من موروثهم العلمي حتى أصبحت حاضرة مراكش تزخر بالكثير من العلماء الأندلسيين الذين أصبحوا يجالسون ملوك الدولة، وكانت مجالس علم وأدب وسياسة، بل إن مؤسس الدولة ابن تومرت قد أقام مذهبه على مبادئ كان أهمها دراسة العقائد والأحاديث التي تتصل بمذهبه مما يطالب تعلما أوليا.

وفي إطار هذا يمكن تبيان مظاهر الحركة الفكرية فيما يلي:

أولا: العلوم النقلية (الشرعية):

أ/ الفقه:

عمل الموحدون على محو المذهب المالكي بإحراق كتبه، عكس ما نقل المرابطون قبلهم لحرقهم كتاب الإحياء، وقيل أن المنصور قد وضع بنفسه أحاديث تتصل بالمذهب الظاهري وكان يمليها على الناس ويقدم الهدايا لمن حفظها، كما أنه أمر حجامة من المحدثين بحجمها وتحفيظها[1]، ومن أشهر الفقهاء الموحدين نجد الفقيه:

أبو بكر (496هـ/586هـ) هو محمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الله بن فرج ابن الجد الفهري:

الفقيه الحافظ في الأندلس والمغرب، كان فصيحا خطيبا، درس على يد ثلة من الشيوخ منهم أبي الحسن بن الأخضر، وأبي القاسم الهوزاني، وأبي الحسن الشريح بن محمد، وأبي بكر بن العربي...عني بالعربية فبرع فيها وعزم على الاقتصار عليها والتصدر لإقرائها، ثم مال إلى دراسة

1_إبراهيم حركات، المرجع السابق ،ج1، ص 352

الفقه ومطالعة الحديث بمشورة وتوجيه من شيخه أبي بكر بن العربي، وهو من أهل اشبيلية الذين قدموا على عبد المومن بن علي،[1] ذكر أنه كان من الفقهاء الذين كانوا يجالسون المنصور الموحدي ويسايرونه[2] .

محمد ابن إبراهيم الأصولي المهري:

من أهل بجاية وهو من بني مرزقان من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله، ولي قضاء بجاية ثلاث آخرها سنة 608هـ، وولي قضاء مرسية، ثم مراكش، كان علم وقته علما وكمالا وتفننا يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه، حتى شهر بالأصولي[3]، عندما امتحن ابن رشد سنة 593هـ منتحه المشهورة كان معه ونفي مثله، اعتنى بإصلاح "المستصفى" لأبي حامد العزالي وله "تقييد للشرفاء العمرانيين" ، كف بصره أواخر عمره توفي ببجاية سنة 612هـ[4]

محمد بن الشريح الرعيني (ت563هـ):

هم محمد بن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن عبد الله بن شريح الرعيني، من أهل إشبيلية، يكنى أبا بكر سمع أباه وصحب أبا بكر ابن العربي في وجهته إلى المغرب عاصر دولة المرابطين ودخل مراكش على أيام عبد المؤمن بن علي الموحدي ،توفي صدر يوم الخميس الرابع من جمادى الأولى سنة (536هـ) وتوفي إثر الصلاة بمقبرة مشكة ودفن بمحاذاة أبيه وجده.

1_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص122.

2_ابن الآبار، التكملة، ج2،ص65.

3_السملالي، المصدر نفسه، نج4،ص169-170.

4_عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط2، دار الوعي، الجزائر، 1438هـ/2017م، ص23.

محمد بن أحمد الباجي اللخمي (564هـ/635هـ):

هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن حمز بن سماعة الداخل إلى الأندلس اللخمي، إشبيلي، أبو مروان اليامي[1]، تردد على حضرة مراكش مرارا وكان أحد الفقهاء دراية ورواية[2] .

علي بن أحمد ابن يعيش الزهري اليامي (490هـ/567هـ):

كان فقيها مشهورا له تأليف في مناسك الحج وكان ضمن وفد إشبيلية الوافدين على عبد المؤمن بن علي في وجهته إلى المغرب التي قدم حينها لمراكش[3].

ومن الفقهاء ذكر أيضا **علي بن محمد أبن خروف الحضرمي الأشبيلي:**

الذي شارك في أصول الفقه وله شرح كتاب السيبوية وله شرح جمل الزجاجي كتاب في الفرائض توفي سنة609هـ[4].

الفقيه علي بن محمد ابن الحصار الأنصاري القاسمي إشبيلي:

الأصل سكن مراكش كان فقيها عارفا بأصول الفقه له مصنفات أفاد بها منها مقالة في إعجاز القرآن والناسخ والمنسوخ" تقريب المدارك في وصل المقطوع في حديث مالك و"بيان البيان في شرح الرهان" مثاله في النسخ على ما أخذ الأصوليون" وتقريب المرام في تهذيب أدلة الأحكام في آصول الفقه"[5] . توفي سنة 610هـ بدفن بالبقيع وبيعت هناك كتبه[6].

1_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص 204.
2_ابن بشكوال، المصدر السابق،ج3، ص 725.
3_السملالي، المصدر السابق،ج9، ص60.
4_ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج3،ص 226.
5_السملالي، المصدر نفسه، ج9، ص 157.
6_إبن الآبار، المصدر السابق، ج3، ص118.

ب/ الحديث:

عظم شأن هذا العلم أكثر بعد قيام دولة الموحدين لاهتمام الخلفاء به حيث أمر الخليفة عبد المؤمن بإحراق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث[1] كما أمر يوسف بن عبد المؤمن بتجميع الجهاد في مجموعة واحدة كان يمليها بنفسه على وزرائه[2].

كما أمر المنصور الموحدي بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالصلاة في مؤلف يوزع على الناس ومن أبرز المحدثين الذين تواجدوا بمراكش واستفاد الموحدين منهم:

المعافري: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري من أهل إشبيلية [3]، إستدعاه الموحدي إلى حضرة مراكش كان عالما بالحديث ودرس بجامع المنصور الموحدي صنف بعض الكتب مما جعل المراكشيون يقبلون عليها لأهميتها العلمية، توفي بمراكش في سنة 637هـ.

ج/ التفسير:

اتسعت العناية بتفسير القرآن إذا كان المصدر الوحيد الذي يستقي منه الفقهاء في هذا العهد إلى جانب الحديث، ومن ثم ظهرت المحاولات الأولى لوضع تفاسيركاملة[4] ومن أشهر المفسرين هناك:

علي بن محمد الجياني الأنصاري الإشبيلي:

نزيل مراكش جمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية فخلص منها ورجز الأحكام في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام وله عدة رسائل[5]

1_ إبن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 398.
2_المراكشي، المصدر السابق، ص 254-258.
3_السملالي، المصدر السابق، ج8، ص 225.
4_إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص354.
5_السملالي، المصدر نفسه، ج9، ص 136-137.

د/ القراءات والكلام:

أعطى الولاة الموحدين علوم القراءات الاهتمام البالغ؛ ذلك أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يلزم ساكنة المغرب بقراءة القرآن بعد كل صلاة صبح ومغرب، بعدما خصص المهدي بن تومرت لأصحابه قراءة حزب كل يوم بعد صلاة الصبح[1] . ومن أشهر علمائه الإشبيلين نجد:

أحمد بن محمد ابن مقدام الرغيني (561هـ/608هـ[2]):

أبو العباس وأبو القاسم تلا بسبع قراءات، استدعاه عبد المؤمن إلى مراكش وقد كان عارفا بالتجويد[3] والمقرئ محمد بن عبد الرحمن ابن عظيمة الإشبيلي أخذ القراءات عن أبي عبد الله السرقيطي أيضا كان صدرا في أهل التجويد للقرآن الكريم، وله أرجوزة في القراءات السبع وأخرى في مخارج الحروف، وله أيضا "الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية"، توفي في سنة 543هـ.[4]

أحمد بن عيسى أبن عبد البر البكري:

قرموني استوطن إشبيلية، كان من المتقدين في تجويد القرآن الموصوفين بحسب آدابه ذكر ابن الآبار أنه وقف على قراءاته بمراكش [5].

محمد بن شريح الرعيني (503-563هـ)[6]:

من أهل إشبيلية كان من ثلة المقرئين، له مؤلفات عديدة منها: كتاب "الكافي في القراءات " وكتاب "التذكرة" "واختصار الحجة"[7].

1_حسن علي حسن، المرجع السابق ،ص 472.
2_ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص 86.
3_ السملالي، المصدر السابق ،ج2،ص 114.
4_ السملالي، المصدر نفسه ،ج2،ص 91
5_ابن الآبار، المصدر نفسه، ج1، ص 84.
6_ ابن الابار، المصدر نفسه، ج2، ص30.
7_ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص 809.

ومن العلوم التي اشتهرت وحازت مكانة مزدهرة، نجد علم الكلام الذي اهتم به الخلفاء الموحدين، فصار له شأن كبير، ما جعل بعض الأندلسيين ينشغلون به ويبرعون فيه، وكان لهم دور كبير في سير هذا العلم بين المغاربة، ولقي المناظرات والمؤلفات الكثيرة، ومن أهم العلماء في هذا العلم نجد:

علي بن محمد الإشبيلي:

هو علي بن محمد بن خليد عرف بابن الاشبيلي (ت567هـ)، أتقن علم الأصول[1] وكان حافظ للفقه حاذقا في أصوله، متحققا بعلم الكلام، وله مصنف سماه "المعراج". قدم به على بن المؤمن بن علي وهو محاصر فحضي عنده وأكرم وفادته

ثانيا: العلوم العقلية (الحكمية):

أ/ العلوم اللسانية:

ازدهرت الحياة الأدبية أيام الموحدين نتيجة ما خلفه المرابطين من نهضة أدبية استقطبت العديد من العلماء الأندلسيين إلى مراكش.

1.اللغة:

بمجيئ العرب الهلالية إلى المغرب استقرت الثقافة العربية وازدهرت، مع تشجيع واهتمام الخلفاء الموحدين على تدريس هذا العلم للمغاربة، ومن أبرز اللغويين الذين هاجروا من الأندلس إلى مراكش نذكر:

محمد بن عبد العزيز الرجيني السلاقي :

هو محمد بن عبد العزيز بن خلف، الوجيني السلاقي الأشبيلي ابو بكر[2] كان أستاذا فاضلا خليلا نصيا لغويا وذكر صاحب بغية الوعاة أنه أقرأ بإشبيلية ثم تنقل إلى مراكش فأقرأ بها إلى أن مات[3] .

1_السملالي، المصدر السابق،ج09، ص09.

2_ السملالي، المصدر نفسه، ج4، ص 154.

3_جلال عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، (د.ط) ،(د.ت)، ص160.

أبو بكر المعروف بالسلاقي:

من أهل إشبيلية، سكن مراكش وكان عالما بالعربية والآداب[1].

محمد بن مروان ابن فهد اللخمي الإشبيلي:

هو محمد بن مروان بن محمد بن محمد بن محمد بن مروان بن سعيد ابن فهد اللخمي الإشبيلي أبو بكر، كان متحققا بالعربية حافظا للغة ضابطا لها[2].

علي بن محمد ابن خروف الخضرمي الإشبيلي:

كان إماما في صناعة العربية، له كتاب الود في العربية على عبد الرحمان السهيلي وكانت بضاعته وصناعته[3].

2.النحو:

ارتقى هذا العلم في عصر الموحدين بظهور النحويين لتعليم أبناء الموحدين النطق الصحيح وفهم قواعد اللغة وكان أبرزهم :

محمد بن علي السلاقي النحوي الأديب : كانت له شهرة بمراكش[4] و ابن عظيمة الذي كان متقدما في النحو، ومحمد عبد العزيز الوجيني السلاقي الذي كان أستاذ نحويا[5] .

3.الأدب :

اهتم الخلفاء الأمويين بالآداب فقد كانوا هم بأنفسهم يتخذون الأدب بل أن بعضهم كان له الحظ الوافر من الأب كعبد المؤمن ويوسف المنصور فقد شجع الاهتمام المشتقين على خوض الأدب وعلى وفادة مراكش خاصة الأندلسيين الذين كانوا يترددون على المغرب منهم:

1_ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص68.

2_إبن بشكوال، المصدر السابق، ص 62-63.

3_السملالي، المصدر السابق ،ج9، ص 14.

4_ السملالي، المصدر نفسه،ج4، ص 156.

5_ السملالي، المصدر نفسه،ج4، ص 154.

أحمد بن محمد، إبن مقدام الرعيني (516هـ/608هـ):

الذي كان حافظا للآداب[1] وابن المالقي (567هـ/617هـ) كان بمراكش رئيس المطالبة.

محمد ابن أحمد ابن الجد الفهري الإشبيلي:

وكان أديبا ظريفا دخل مراكش موتين احدهما في وقت إشبيلية القادمي على العبد بن يوسف بن عبد المومن وهو الذي كتب لأبي مروان الياجي "الحسيب والوزارة أعزكم الله قد خلفا بالابتذال وصار من لباس الأنذال فرأيت الاقتصار على الاختصار وترك التشطيط في التخطيط"[2]

وهكذا أن الأدباء في عهد الموحدين وجدوا من التشجيع عالم يجدون من المرابطين.

4.الشعر:

تميز عهد الموحدين بظهور شعراء كثيرين من ضمنهم عدة أمراء من العائلة المالكة كأبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن علي بن عمر، وكلما كانت هنالك احتفالات رسمية ودينية مناسبة لهم ينتهنزها الشعراء؛ فينشدون قصائدهم والذي يثيبهم على قدر إجادتهم وقد يناقشهم في شعرهم كما كانت عادة عبد المؤمن[3].

ابن طفيل اشتهر بالفلسفة والشعر: ومن شعره في الزهد

يا باكيا عن فرقة الأحباب عن شحط هلا بكيت فراق الروح للبدن؟

نور تردد في طين إلى أجل فانحاز علوا وخلى الطين للكفن

ياشد ما افترقنا من بعد ما أعتلقا أظنها هدنة كانت على دخن.

إن لم يكن في رضى الله اجتماعهما فياليها صفقة تمت على غبن[4]

1_السملالي، المصدر السابق، ج02، ص 42.

2_ السملالي، المصدر نفسه، ج 4، ص195.

3_إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 367.

4_السملالي، المصدر نفسه، ج4، ص 119.

الشاعري علي بن محمد الجيافي الأنصاري الأشبيلي كان شاعرا مجيدا رقيق الغزل بارع في النظم والنثر[1].

أ-الموشحات والزجل:

لما كثر الشعر وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه مبلغا كبيرا، استحدث المتأخرون فنا أسموه الموشح ينظمونه أسماطا وأغصانا، فيسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها والتي تتنهي إلى سابع أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان[2].

ومن الوشاحين الأندلسيين نجد أبو بكر زهر الحفيد ومن شعر موشحاته :

زعمت نفسي إن أفرح الهوى نكد

***

هام قلبي في معذبه وأنا أشكو لمطلبه

أن كتمت الحب مت به

وإذا ما صحت وأكدا فرح الأعداء وإنتقدوا

***

أيها الباكي على الطالل ومدير الراح بالأمل

إن كتمت الحب من به

فدع الدمع السفوح سدى وضرام السوق تتقد

***

ممقلة جادت ملكت عرفت ذل الهوى فبكت

وشكت مما بها ورثت

وفؤادي هائم أبدا وما عليه للسلو يد

***

1_ السملالي، المصدر السابق، ج9، ص 136.

2_ أبن خلدون، المصدر السابق، ص 320.

إن عيني لا أذنبها أتعبت قلبي وأتبعها

لنجوم بت أرقبها

رمت أن أحصي لها عددا وهي لا يحصي لها عددا

وغزال يغلب الأسدا جئت لإستنجاز ماوعدا

فإنزوى عني وقال غدا

أترى يقاوم أش هو غدا ؟ في أي مكان يسكن ويوجد[1].

ب/ الفلسفة:

حظيت حاضرة مراكش بعلماء أندلسيين في مختلف العلوم لتفسيرها وتدريسها لأبناء الموحدين، فقد نشطت الحركة العلمية واتسع الفكر الموحدي لشتى أنواع المعارف فشجع ولاة الأمر الفلسفة والترجمة، ومن الخلفاء الداعمين لها يوسف بن عبد المؤمن الذي كان يدرس الفلسفة ويجالس الفلاسفة ومن أشهرهم نجد :

محمد بن عبد الملك ابن طفيل القبسي:

أبو بكر الوزير الشهير (494هـ/581هـ) اشتهر بالفلسفة.[2] وله رسالة تدعى "حي بن يقظان" تشتمل على أشهر آراء العرب الفلسفية وقد كان متحققا بأجزاء الفلسفة جميعا، وله أيضا تصانيف في أنواع الفلسفة، ومن تصانيفه في الإلاهيات (رسالة في النفس) وفي الطبيعيات (حي بن يقظان)، فقد خصص عبد المؤمن له مرتبة عالية وكان يبقيه في قصره لأيام لحبه ورغبته في مناقشته"[3]، يقول المراكشي أما طمع به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة[4].

1_السملالي، المصدر السابق، ج04، ص 140_ 141.

2_ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 245.

3_السملالي: المصدر نفسه،ج4،ص 117.

4_المراكشي، المصدر السابق، ص 242.

ج/ الطب:

بدأ اهتمام الموحدين بعلم الطب وتشجيع العلماء وتوفير موارد الدولة الضخمة لهم وكان المنصور نفسه ممن يعتنون بالحكمة والطب، وهو يأتي مارستان مراكش المتهور وقد كان أكثر أطباء الخلفاء الأندلسيون ابن طفيل وابن رشد، كما كان لعائلة بني زهر حضور قوي في البلاط الموحدي حيث عملت في الطب رجالا ونساء.

ومن أبرز الأطباء وأشهرهم:

ابن طفيل القيسي (494هـ/581هـ) :

طبيب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي :اشتهر بالطب، وكان ماهرا بصناعة طب الجراحات، وكان أمير المؤمنين يوسف شديد الشغف به والحب له فقد كان يقيم في القصر عنده لا يظهر أبدا[1].

الطيب محمد بن عبد الملك ابن زهر الأيادي (507هـ/595هـ) :

هو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي من أهل إشبيلية يكنى أبا بكر[2] وذكر أبن الآبار في التكملة أنه " أخذ عن أبيه عبد الملك وجده أبي العلاء علم الطب[3]، خدم دولة الموحدين في أيام عبد المؤمن، مات أبوه وبقي في خدمته ثم خدم يوسف بن عبد المؤمن ثم إبنه يعقوب الذي لقب بالمنصور.

وكانت مع أبا بكر بنت أخته وكانت أخته وابنتها عالمتين بصناعة الطب والمداواة للنساء وكانت تدخلان على نساء المنصور[4].

1_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص 117-118.
2_السملالي، المصدر نقسه، ج4، ص 134.
3_أبن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص 75.
4_السملالي، المصدر نفسه، ج4، ص 135.

ابن أبي العلاء زهر ابن أبي مروان (ت557هـ/1161م):

هو الذي استدعاه عبد المؤمن بن علي إلى مراكش واخذه طبيبا خاصا به[1]

محمد بن أحمد ابن خليل السكوني:

إشبيلي المنشأ والمسكن، وصنف في الطب والبيطرة وجمع بين كتابي ابن مروان ابن زهر وابنه أبي بكر وأضاف إليهما فصل سماه: ذكر الخواص والكليات الواقعة في تسيير أبي زهر[2]، وأقام بمراكش مدة قصيرة.

ومن خلال ماسبق ذكره نجد أن من أشهر الأسر التي كان لها باع في مجال الطب أسرة ابن زهر رجالا ونساء.

د/ الرياضيات:

دعت الحاجة طلاب العلم إلى دراسة العلوم الرياضية التي كانت الدولة في حاجة إليها لمباشرة مهام التوقيت وهندسة البناء، وما يؤكده بناء مقصورة المسجد الأعظم بمراكش.

إضافة إلى ما سبق فإن مراكش عرفت نهضة فكرية نتيجة الصلة بينها وبين مدن الإندلس على رأسهم إشبيلية، فقد أثر علماء إشبيلية على الحياة الفكرية وتركوا بصمتهم في المغرب، فقد كانوا الخلفاء يرحبون بالعلماء والأدباء الوافدين من إشبيلية فاتخذوا منهم وزراء وكتاب وقضاة وفقهاء ومفسرين.

1_مريم بوعامر، الهجرة الأندلسية ودورها في الإزدهار الحضاريما بين القرن 7و9هـ/13و15م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،شعبة تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بالقايد، 1430_1431هـ/ 2009_2010م، ص104.

2_السملالي، المصدر السابق، ج4، ص236- 237.

الخاتمة

الخاتمة:

يعتبر موضوعنا من المواضيع التاريخية الهامة لما يشتمل عليه أحداث تاريخية وتحولات سياسية وحضارية شهدتها منطقة المغرب والأندلس خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس للهجرة والنصف الأول من القرن السابع للهجرة. وعليه حاولنا قدر المستطاع رسم صورة عن هذه الرقعة الجغرافية بتقلباتها وتحولاتها وما نتج عنها، فخرجنا بمجموعة استنتاجات كانت كالآتي:

1- عاشت بلاد المغرب اواخر القرن الرابع للهجرة و ضعا سياسيا حرجا يمكن وصفه بانه من احلك الفترات التي مرت بها المنطقة نتيجة التقهقر الساسي و التفرق المذهبي وما نتج عنه من انحلال ديني و خلقي خاصة بعد أفول نجم الأدارسة.

2- إن الوضع الذي ساد في بلاد الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية لم يكن ببعيد عما حدث في العدوة الجنوبية، حيث طفت الصراعات و الحروب الداخلية بظهور ملوك الطوائف الذين تمادوا و أفرطوا في تفضيل مصالحهم الشخصية على حساب الوحدة العامة للبلاد، إذ كان هذا حافزا لنمو القوى النصرانية و تماديها وتكالبها على الممتلكات الاسلامية.

3- بعد تفشي هذه الانقسامات التي فتكت بسرح الدولة الإسلامية في المغرب والأندلس بصفة عامة، شهد القرن الخامس للهجرة حركة دينية وسياسية جديدة، تزعمتها شخصيات بربرية، أقامت على إثرها دولة قوية سميت بدولة المرابطين، واتخذت من مراكش عاصمة لها.

4- أخذت الدولة المرابطية على عاتقها مسؤولية النهوض بالمغرب الإسلامي بعد الذي شهده من ضلالات وبدع، حادت بتعاليم الإسلام عن المحجة البيضاء التي تركها لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، ليوجهوا أنظارهم فيما بعد نحو الأندلس التي كانت تربطها بالمغرب صلات تاريخية ودينية متينة، ليخلصوها من ذلك التفكك السياسي ويعيد لم شملها، مع التصدي لخطر النصارى وتغلبهم على المناطق الإسلامية هناك.

5- لما وصلت دولة المرابطين إلى أوج قوتها وازدهارها، سجل تاريخ المغرب حركة دينية وهزة سياسية جديدة، ألا وهي دولة الموحدين، والتي رفع شعارها محمد ابن تومرت بأفكاره وعقائده، وبذلك شهدت هذه المنطقة توحدا سياسيا جديدا بعد صراع بين هاتين القوتين.

6- كانت إشبيلية تعيش على أيام بني عباد نهضة علمية، وازدهارا حاضريا مرموقا، وواصلت مسيرتها وتطورها الفكري أيضا على عهد المرابطين والموحدين فيما بعد، وكل ذلك إنما كان نتيجة لتلك الوحدة السياسية والمذهبية، ولحرص الولاة والأمراء على تشجيع الحركة الثقافية من مخالف جوانبها، كما كانت إشبيلية خزانا حضاريا وعلميا وافرا، استفادت منه حاضرة المغرب مراكش والمغرب الأقصى؛ فقد كانت مراكش مركز جذب للعلماء و الأدباء الإشبيليين الذين أمراء المرابطين للاستفادة من علومهم وخبراتهم ، تبعهم في ذلك الموحدون من بعدهم.

7- لقد كان الأندلسيون عامة والإشبيليون خاصة خير معين لأهل المغرب؛ فقد وفدوا على البلاد ينشرون فيها علومهم وحضارتهم تاركين لهم بصمة في علوم الفقه واللغة والأدب والطب وغيرها من العلوم وكان ذلك خلال قرنين من العطاء وتحت رايتين مختلفتين.

ومن خلال هذه الدراسة وتتبع أبعادها فقد تراء لنا أن مراكش بالرغم من كونها عاصمة لأكبر دولتين والتي كانت ملء السمع والبصر، حاملة راية الخلافة العباسية بالمغرب والتي قصدها الفلاسفة والأطباء والأدباء والعلماء للعمل في قصورها ودواوينها، فبلغت بذلك المجد والفخر، لكن ذلك لم يشفع لها عند المؤرخين لتنال من الحظ أوفر الدراسة والاهتمام على غرار حواضر أخرى أقل شأنا منها، ورغم أن بحثنا لا يرقى لأن يسد النقص الموجود إلا أننا حاولنا إعطاء أقصى ما يمكن ليخرج في صورته النهائية.

الملاحق

الملحق رقم 01: حدود الدولة المرابطية عند وفاة يوسف بن تاشفين: [1]

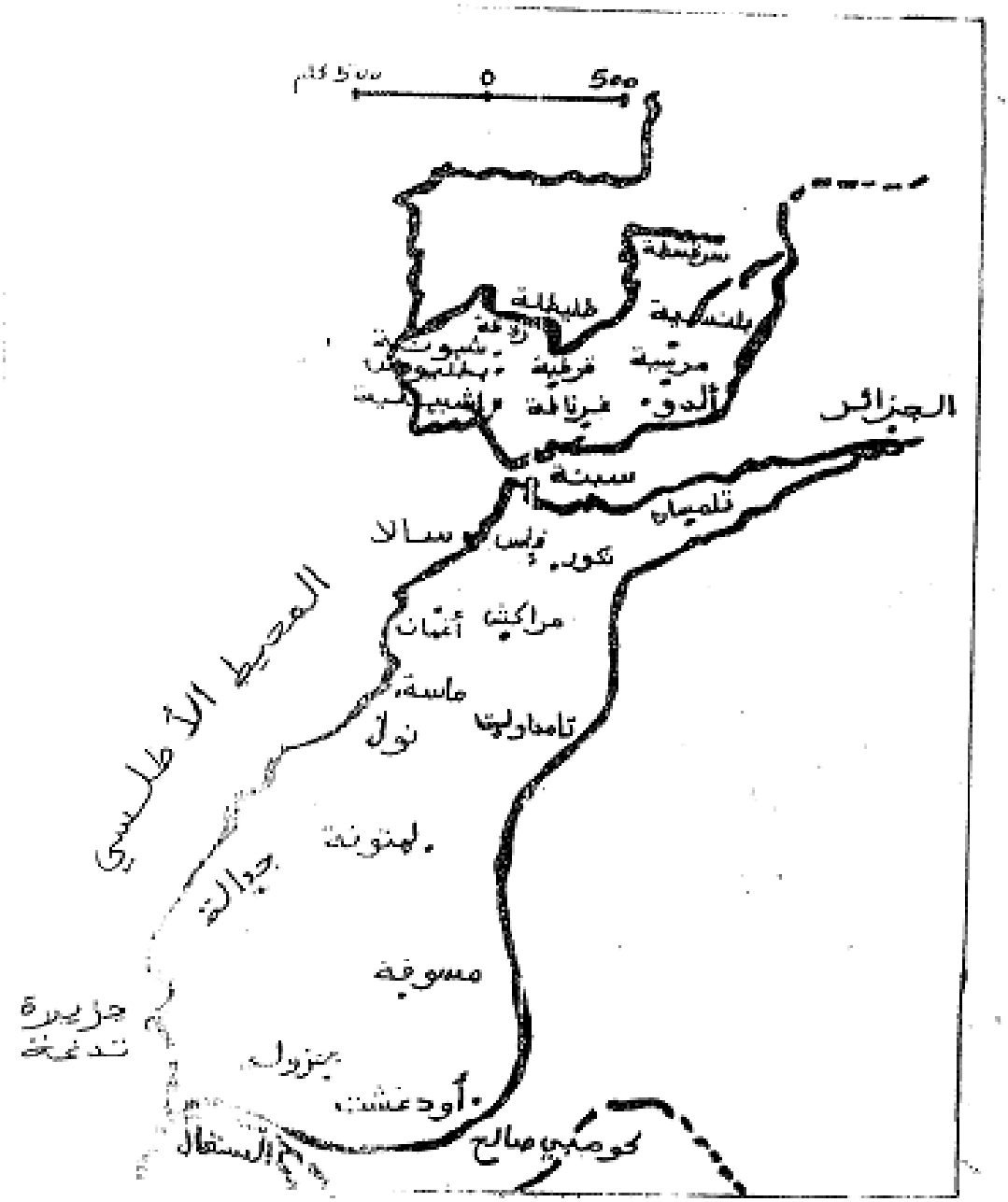

1_مليكة حميدي، المرجع السابق، ص 247.

الملحق رقم 02: خريطة المغرب الأقصى في القرن السادس هجري:[1]

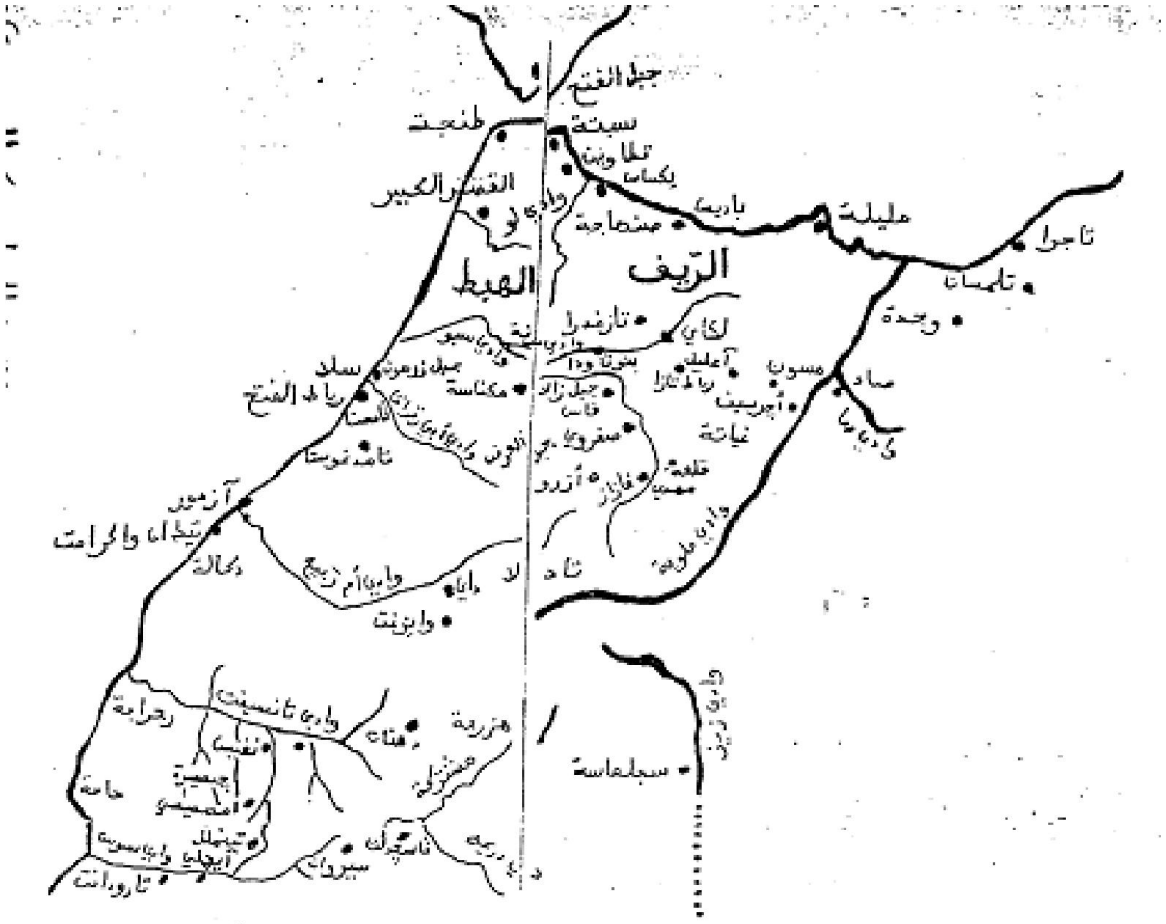

1_مليكة حميدي، المرجع السابق، ص 246.

الملحق رقم 03: خريطة لمملكة مراكش: [1]

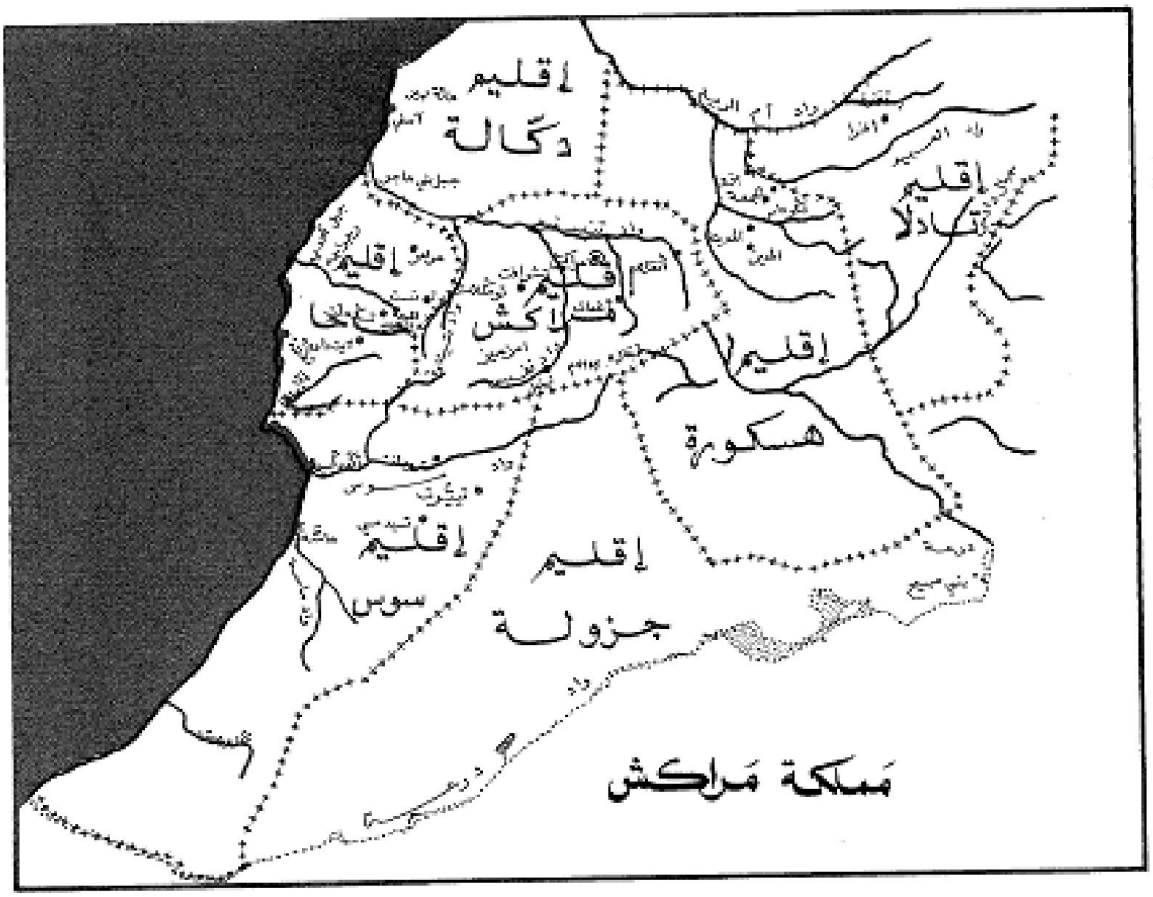

1_الحسن الوزان، المرجع السابق، ص 94.

الملحق رقم 04: صومعة جامع المنصور بإشبيلية لاخيرالدا La Giralda [1]

1_ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، القسم الثاني، المرجع السابق، ص 231.

الملحق رقم 05: مراكز استيطان المسيحيين في المغرب والأندلس في عصر المرابطين [1]

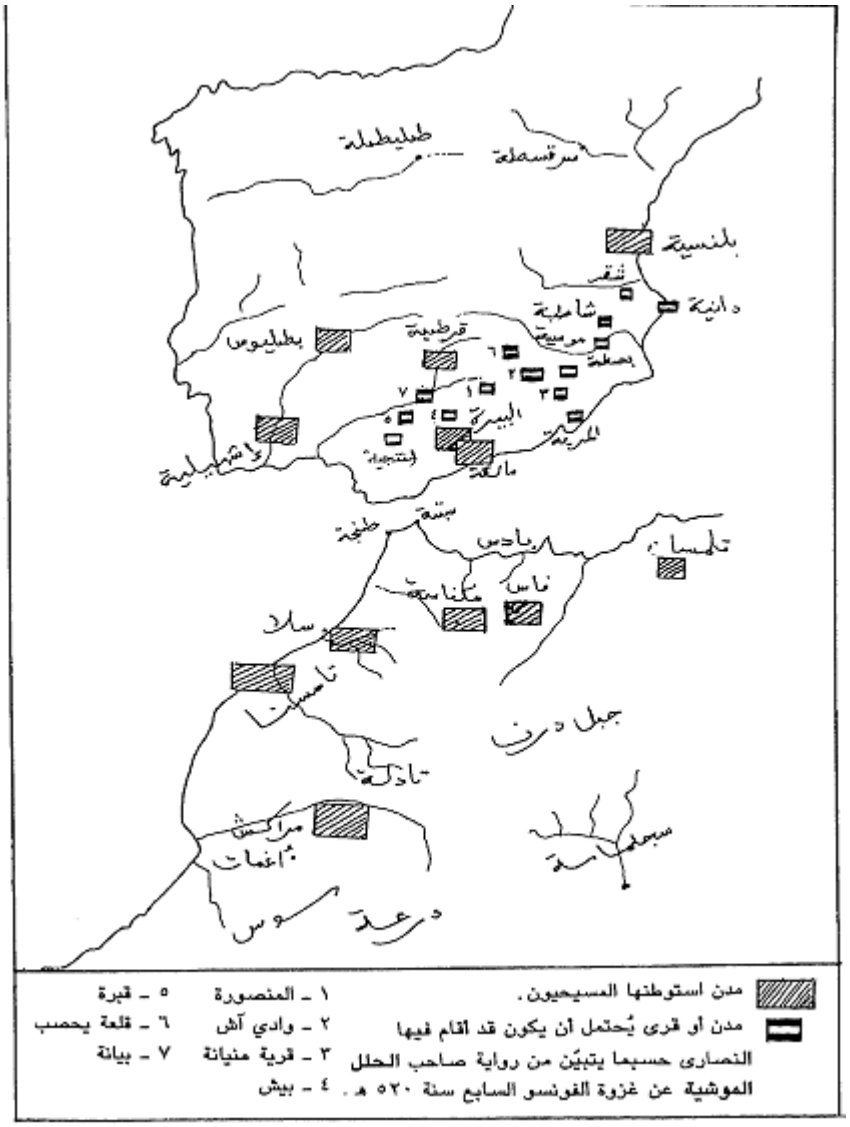

1_ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 234.

الملحق رقم 06: مناطق التجمعات اليهودية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين [1]

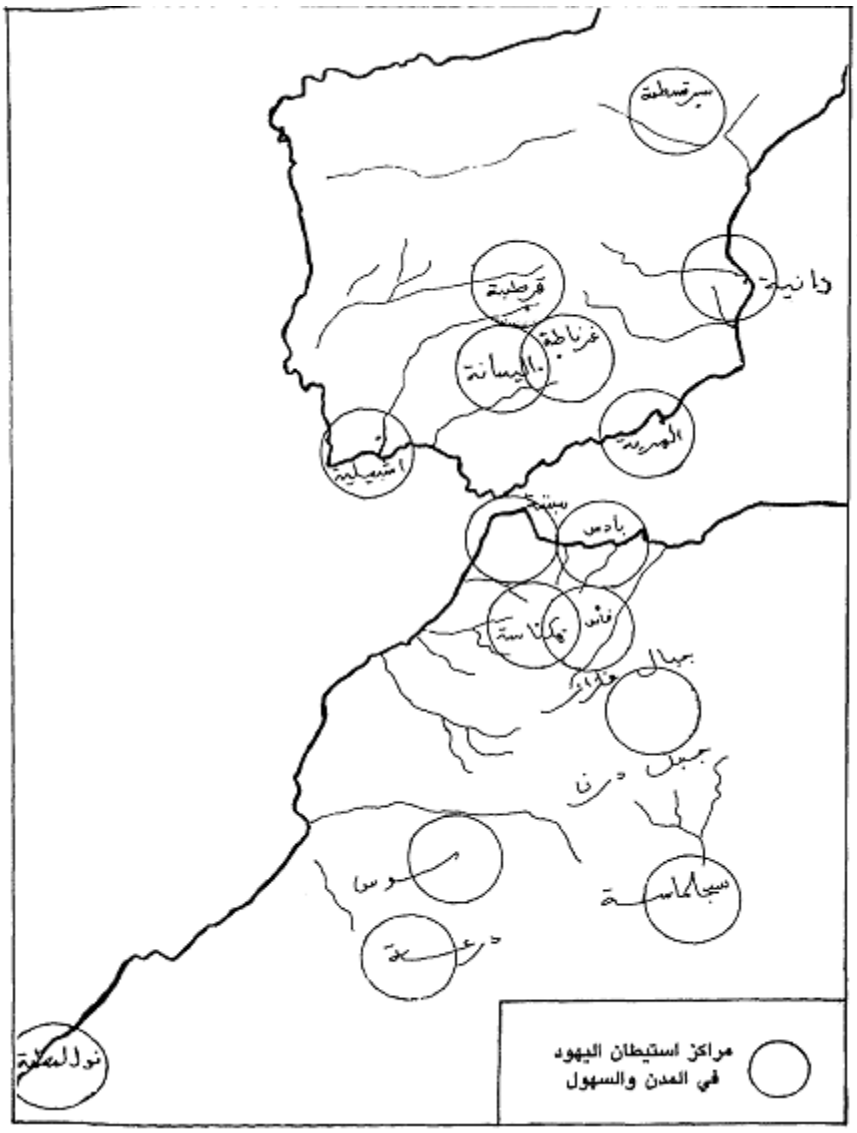

1_ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 235.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

المصادر:

1. السملالي عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج10، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، (د.ت).

2. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

3. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية، 1286هـ

4. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د.ط)، عصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972م .

5. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ)، الحلّة السيراء، تح.تع: حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

6. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج1، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م

7. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

8. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.

9. ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح.تع: إ. ليفي بروفنسال، مج3، ط2، دار المكشوف، بيروت- لبنان، 1956م.

10. ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ت617هـ/1220م)، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط- المملكة المغربية، 1997م

11. ابن القوطية (ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د.ت).

12. ابن القوطية (ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/ 1989م.

13. ابن بشكوال(494-578هـ/1101-1183م)، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، 1410هـ1989م.

14. ابن حزم الأندلسي أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح.تع: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

15. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992م.

16. ابن خاقان أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان 1-2، تح.تع: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1409هـ/1989م

17. ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د.ط)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، (د.ت).

18. ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار،ج6 ، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

19. ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1421هـ/2001م.

20. ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ)، وفيات الأعيان وأبناء أهل الزمان،تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ت).

21. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. مر: ج.س كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج2، ط2، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1983م.

22. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، مج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م.

23. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، مج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م.

24. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح.تع.محمد الأحمدي أبو الأنوار، دار التراث، القاهرة، (د.ت).

25. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تح: الشيري علي، ج2 ، ط1، مؤسسة آل البيت، مطبعة أمير، بيروت، 1413هـ.

26. ابن كثير عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج13، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، 1419هـ/1998م.

27. ابن منظور، لسان العرب، تح ومر: عامر أحمد حيدر عبد المنعم خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

28. الإدريسي الشريف ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (د.ط)، مطبعة برلين، لندن، 1803م.

29. الإدريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج1، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م

30. البكري أبي عبيد، أخبار إفريقية و المغرب من كتاب المسالك و الممالك، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

31. البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تح: ديسلان، ط2، باريس، 1911م.

32. البيذق أبو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1971م.

33. التبريزي الخطيب (ت502هـ)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

34. الثعالبي عبد العزيز، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسيية (132هـ/750م)، تح: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م.

35. الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م.

36. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حاجي ومحمد الأخضر،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

37. الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج1، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م.

38. الحميدي أبي عبد الله محمد بن فتوح بن الله (ت488هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح.تع: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ/2008م.

39. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، 1984م.

40. الذهبي شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ج6، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1417هـ/1996م.

41. الذهبي شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ج8، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.

42. الرشاطي أبو محمد و ابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تق.تح: إيميليو مولينا وخاشينتو بوسك بيلا، (د.ط)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م.

43. الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة–مصر، (د.ت).

44. السملالي عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج4، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المكتبة الملكية، الرباط–المغرب، 1419هـ/1998م.

45. السملالي عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج8، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المكتبة الملكية، الرباط–المغرب، 1419هـ/1998م.

46. السيوطي جلال عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، (د.ط)، (د.ت).

47. الشنتريني أبي الحسن علي ابن بسام (542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، القسم الثاني، مج: 1، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت— لبنان، 1417هـ/1997م.

48. الضبي (599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

49. الفاسي عبد الكبير بن المجدوب، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ومعه شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن قنفذ القسمطيني، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1417هـ/1996م.

50. المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت-لبنان، 1388هـ/1968م

51. مؤلف مجهول، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ط1، الرباط، 1929م.

52. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تق: إبراهيم الأنباري، ط2، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م.

53. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، (د.ط)، دار التسوق الثقافية العامة، العراق، 1986م

54. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدارالبيضاء، 1399هـ/1979م.

55. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، 2005م.

56. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، (د.ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م.

57. النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م.

58. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29، تح: عبد المجيد ترحيني، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

المراجع:

59. ارسلان شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، المطبعة الرحمانية، المغرب، 1355هـ/1936م.

60. أرسلان شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج2، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/1936م.

61. باشا أحمد تيمور، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة الحنفي، المالكي، الشافعي وانتشارها عند جمهور المسلمين، تق: محمد أبو زهرة، ط1، دار القادري، بيروت، 1411هـ/1990م.

62. بلغيث محمد الأمين ، دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة الى مدينة العلم، (د.ط)، القافلة للنشر و التوزيع، باب الزوار-الجزائر، 2014م.

63. بوتشيش إبراهيم القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (د.ط)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

64. الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من القتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق، بيروت، 1402هـ/ 1981م.

65. حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، ج1، (د.ط)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء-الجزائر، 1420هـ/2000م.

66. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

67. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م.

68. حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، 1414هـ/1994م.

69. حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م.

70. حسين مؤنس، سبع وثائق عن دولة المرابطين و أيامهم في الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1420هـ/2000م.

71. حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية، ط1، دار الرشاد، (د.ت).

72. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتبة الأسرة، 2004م.

73. حمدي عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الاندلس في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المعرفة، 1997م.

74. حمدي عبد المنعم حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م.

75. درويش هدى ، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن اليهود المارنواس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية ، 2008م.

76. ذنون طه عبد الواحد وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م.

77. راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة إقرأ، 1432هـ/ 2014م.

78. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ، (د.ت).

79. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، (د.ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت).

80. سعدون عباس نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المؤمنين، ط1، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، 1405هـ/1985م.

81. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت).

82. السيد عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة الجامعة، 1993م.

83. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات الثقافة، دمشق، 1990م.

84. شحلان أحمد، التراث العبري في المغرب الإسلامي التسامح الحق ، ط1، دار أبي رقراق للطباعة، المملكة المغربية، الرباط، 2006م.

85. صالح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية تاريخية نشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبيةفيها (414_461هـ) (د.ط)، دار الثقافة، بيروت_لبنان، 1965م.

86. الصلابي علي محمد، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م.

87. الصلابي علي محمد، صفحات من التاريخ (دولة الموحدين)، (د.ط)، دار البيان للنشر، (د.ت).

88. الصلابي علي محمد، صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي دولة الموحدين، ج5، (د.ط)، دار البيارق، عمان، (د.ت).

89. الصلابي محمد علي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1429هـ/2008م.

90. الطالبي محمد و العبيدي إبراهيم ، البرغواطيون في المغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م.

91. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط2، دار الوعي، الجزائر، 1438هـ/2017م.

92. العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ت).

93. عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م)، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2001م.

94. عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة في تاريخ المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1991م.

95. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطي ومستهل الموحدين عصر ملوك الطوائف الثاني (510-546هـ/1116-1151م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م.

96. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الاندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

97. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م.

98. كنون عبد الإله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم و الأدب و السياسة، ج1، تق: محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم، بيروت_لبنان، 1430هـ/2010م.

99. كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ط2.

100. لان أحمد، التراث العبري في المغرب الإسلامي التسامح الحق، ط1، دار أبي رقراق للطباعة، الرباط–المملكة المغربية، 2006م.

المراجع المترجمة:

101. بروفنسال ليفي، تأسيس مراكش (462هـ/1070م)، تر: أحمد التوفيق، من أشغال الملتقى الأول 1988م، تحت مسمى مراكش من التأسيس إلى أواخر العصر الموحدي، جامعة القاضي عياض.

102. بروفنسال ليفي، نخب مختارة جامعة لأخبار المغرب الأقصى، (د.ط)، 1948م

103. جورج ماسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، (د.ط)، مطبعة الإشهار، الإسكندرية، (د.ت).

104. حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، تر: شحلان أحمد، ج1، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، 2000م.

105. دوزي رينهرت، المسلمون في الأندلس المسيحيون و المولدون، تر.تع.تق: حسن حبشي، ج1، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

106. كاربخال مارمول ، إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي وآخرون، ط1، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط ، 1409هـ/1989م.

الموسوعات:

107. حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ/1996م.

108. زيبب نجيب ، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، تق: أحمد بن سودة، ط1، دار الأمير، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

الرسائل الجامعية:

109. اشتيوي أشرف يعقوب، الأندلس في عصر الولاة (91-138هـ/711-756م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، نابلس_فلسطين، جامعة النجاح الوطنية.

110. حاكمي الحبيب، الروابط العلمية بين بلاد المغرب والأندلس على عهد الموحدين (541-626هـ/1146-1228م)، أطروحة لنيل شهادة الكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 1437-1438هـ/2016-2017م.

111. خليل إبراهيم وعليل زركود، فتح العرب المسلمين لبلاد الأندلس (91-96هـ/710-715م)، مج4، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 13.

112. علي محمود عبد اللطيف الجندي، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، إشراف الأستاذ: محمد عبد الوهاب فضل، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، القاهرة، 1425هـ/2004م.

113. لمياء توفيق دلة، الأندلس الإسلامية بين ملوك الطوائف ودولة المرابطين (478_541هـ/1085_1147م)، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة بيروت العربية،2015.

114. محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا في التاريخ والحضارة، إشراف الأستاذ: محمد أحمد حسب الله، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، 1417هـ/1997م.

115. مريم بوعامر، الهجرة الأندلسية ودورها في الإزدهار الحضاريما بين القرن 7و9هـ/13و15م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،شعبة تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بالقايد، 1430_1431هـ/ 2009_2010م.

116. مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين (448_541هـ/ 1056_1146م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ:صالح بن قربة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (1422_1423هـ/2001_2002م).

117. يوسف أحمد عوالة، بنو عباد في إشبيلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1400هـ/1980م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... ز

المدخل **13**

أولا: التحولات السياسية في بلاد المغرب الأقصى: 14

1 /- إمارة مغراوة في فاس وأغمات : 14

2/إمارة بني يفرن في منطقة سلا و تادلا: 15

3/ إمارة بني خزرون في سلجماسة ودرعة : 16

4/ إمارة برغواطة في إقليم تامسنا: 17

ثانيا: المشهد السياسي للأندلس: 18

1/عصر الخلافة الأموية: 18

2/عصر ملوك الطوائف: 21

ثالثا: المرابطون بالمغرب والأندلس: 24

رابعا: الموحدون بالمغرب والأندلس: 29

الفصل الأول: إشبيلية ومراكش "نبذة تاريخية ونظرة على التركيبة الإجتماعية" .. **34**

المبحث الأول : التعريف بحاضرة إشبيلية 35

المطلب الأول: نظرة جغرافية ولمحة تاريخية 35

أولا : الموقع الجغرافي ومميزاته 35

ثانيا : تسميتها وبناؤها..... 36

ثالثا :الفتح الإسلامي..... 38

المطلب الثاني: عناصر المجتمع الإشبيلي 40
أولا: العرب:..... 40
ثانيا: البربر: 43
ثالثا: الموالي:..... 45
رابعا: أهل الذمة: 47
خامسا: المسالمة و المولدون:..... 49
سادسا: الصقالبة:..... 50
سابعا: النورمان (الفايكنغ): 51
المبحث الثاني: التعريف بحاضرة مراكش 52
المطلب الأول: لمحة وجغرافية وإطلالة تاريخية 52
أولا: الموقع والوصف..... 52
ثانيا: تأسيس وتطور مراكش..... 55
المطلب الثاني: التركيبة البشرية لعناصر المجتمع المراكشي 58
أولا: البربر:..... 58
ثانيا: العرب: 60
ثالثا: الفئات الأخرى:..... 62
رابعا: أهل الذمة: 64
الفصل الثاني: مظاهر الاتصال الحضاري بين المغرب والأندلس..... 66
المبحث الأول: العوامل المساعدة على ازدهار الحركة العلمية بين المغرب والأندلس: 68
المطلب الأول: الوحدة السياسية والمذهبية عهدي المرابطين والموحدين:..... 68
أولا: المرابطون: 68

ثانيا: الموحدون..... 71
المطلب الثاني : دور الأمراء والخلفاء في جذب العلماء: 74
أولا: المرابطون :..... 75
ثانيا: الموحدون..... 77
المبحث الثاني :حركة العلماء الإشبيليين في مراكش على عهد المرابطين والموحدين : 78
المطلب الأول: العلوم والعلماء على عهد المرابطين..... 79
أولا: العلوم النقلية (الشرعية) 79
ثانيا: العلوم العقلية (الحكمية) 82
المبحث الثاني: أثر العلماء الإشبيليين في الحركة الفكرية بمراكش على عهد الموحدين: ... 91
أولا: العلوم النقلية (الشرعية): 91
الخاتمة **104**
الملاحق **107**
قائمة المصادر والمراجع **114**
فهرس المحتويات **129**